الشيخ محمد الطاهر التلبلي

1910م - 2003م

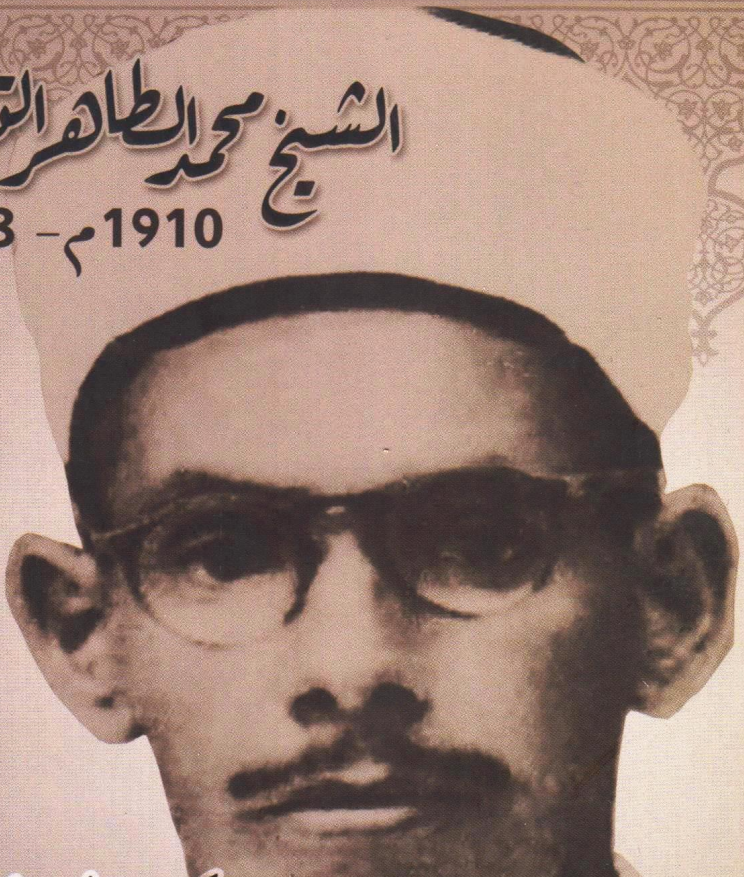

هذه حياتي

إعداد وإشراف:
بشير خلف

الشيخ محمد الطاهر التليلي
1910م - 2003م

هذه حياتي

إعداد وإشراف:
بشير خلف

من إصدارات دار الثقافة محمد الأمين العمودي بالوادي

سامي للطباعة والنشر والتوزيع

ولاية الوادي - الجزائر

032 14 93 39

0557 97 44 43

imp.elwedy@gmail.com

الإيداع القانوني:

السداسي الأول 2017

ردمك :

978-9931-650-16-4

جميع الحقوق محفوظة ©

عنوان الكتاب: هذه حياتي

المؤلف : الشيخ محمد الطاهر تليلي

كتابة، وتصفيف، وتنسيق :

الأستاذ : بشير خلف

تصميم الغلاف التشكيلي :

كمال خزّان

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على كل رسولٍ كريمٍ

هاك ملخص حياتي في الأبيات التالية:

حياتي كلها حُصرتْ في عشرٍ *** من الأحداث في قلقٍ وعُسْرٍ

فمنها خمسة درّتْ ومرّتْ *** وأتتْ أُكُلها من غير نُكْرٍ

ومنها خمسة كرّتْ وفرّتْ *** وخلّفت الندامة بعد حسْرٍ

فخمستها التي درّتْ وفرّتْ *** فحفظي لقرآنٍ توسّع فيه فكري

وتطويعي وتعليمي وحجّي *** ونيلي التقاعد عند كبري

وخمستها التي كرّت وفرّت *** وكرّهت الحياة لنفسٍ حرٍّ

زواجي دون مشورة لأهلي *** بأول زيجة وقعت في صغري

هروبي من مجاورتي وعوني *** لأهلي والتباعد دون عُذْرٍ

وبنياني المساكن فوق داري *** لمنْ لم يرض إيوائي وخيري

وبيعي دون مسغبة لنخلي *** بإجحافٍ وبخس بيع غِرٍّ

وأفظعها ذهاب الرأي منّي *** ونسياني لقرآنٍ وذكرٍ

فتــلك وهـذه يا صاحٍ عشرٌ *** تــفوق سواها في خيـرٍ وشرّ

وقد ألقـــت أواخرها لـحافا *** عــلى تـلك التي وُسمت ببـشر

فلا تسأل سوى هذي القوافي *** على تلك الحوادث أيّ سِفْـرٍ

ولا زيدا ولا عــمْرًا وبَكْـــرًا *** ولا منْ يــدّعي أخبار دهْــرٍ

فلا الأسفار تحمل كـلّ عـلْمٍ *** ولا الأحــبار مرجع كـل أمرٍ

فذاك ملخّصٌ لحياة شخـصٍ *** قـــــضى أيامه في غــير يُسْرٍ

الناظم: مُحَمَّد الطاهر تليلي

هذه نُــتفٌ تافهة من التقييدات تتعلّق بحياتي الشخصية، والعملية، وبعض ما اعترضني في هذه الحياة ن سرورٍ، أو شرورٍ، ومن فرحٍ أو ترحٍ، ومن سارٍّ أو ضارٍّ؛ وسمّيتُ هذه التقييدات:

هذه حياتي

وأرجو من الله حُسْن الخاتمة.

بقلم : مُحَمَّد الطاهر تليلي القماري

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على كل رسول كريم

مقدّمة: الحمد لله الذي خلق هذا الوجود علامة عليه، وفطرَ هذا الكون للهداية إليه، وجعل هذا العالم كأثرٍ بيّنٍ متعين على وجوده الأبدي، وأفاض فيه وعليه من آلائه، ونعمه، وما نبّه على وجوده السرمديّ، والصلاة والسلام على أشرف مخلوق حسبًا، ونسبًا، وأفضل إنسان خُلقًا، وأدبًا مُحَمَّد، وآله، ومن نسج على منواله.

وبعد، فإن من واجبات العاقل أن يعرف نفسه قبل غيرها، ويُعرّف بها قبل التعريف بسواها؛ إذ هي هو، وهو هي، فلا مغايرة بين الاثنين، فهي له أولى من كل ولي، وأقرب إليه من كل مولى، ومن الجهالة، أو الغباوة أن يسعى في اكتساب المجد، ومعرفة من تحصل عليه من الأفذاذ البارزين في التاريخ القديم أو الحديث من هو جاهل لذاته، عادم لصفاته، نكرة غير معرفة، ومبهم غير مبين؛ وإذا قدّر له نجاح في هذه الحياة، وكان ممّن يُشار إليهم بالبنان، ويعدّون من شواذ العصور والأزمان في أيّ صفة كانت، وعلى أية هيئة وُجدت، فإذا

قُدر له ذلك أتعب المفتشين، وانْبهَم عن الباحثين إذا هو قبع في قبعه، وسكن في قبره فيكون كفنه الندم، ولا ساعة مندم.

يرتدي الباحثون عن حياته رداء الأسف الشديد، ولكنه لا يُجدي، ولا يفيد، وعلى تقدير أنهم عثروا على شيء، أو أشياء فليس لهم من سبيل إلاّ التظنّي، أو المبالغة في التحيّز، أو التجنّي؛ فعلى العاقل أن يسجّل حياته بقلمه ما دام في فسحة الحياة، فهو أدرى بنفسه، وأعلم بدخيلته، وبقدر ما يحسن تقييده قبل فوات الأوان، وانسدال ستار النسيان.

ولهذا السبب، ولذلك الغرض قيّدت في هذه الورقات ما قد يهمّ تقييده من منثور حياتي، ومنشورها حتى يطّلع عليه من يهمّه أمري من أولاد، وأحفاد يتطلعون إلى ما تركه الآباء والأجداد من عثار، أو آثار، وما كانوا عليه من إقلال، أو إكثار وعندها فلهم الخيار في العذل، أو العذر وقد اخترت أن أسمي هذه التقاييد بـ « هذه حياتي »،ولله الأمر من قبلُ، ومن بعدُ، والله وليّ التوفيق.

أصْـــلُ نشأتي

لا أعرف الآن من نشأتي أكثر من أني ولدت بقرية " قمار"، قرية من قرى سُوفْ بالواحات من صحراء الجزائر، ونشأت فيها، وتعلّمت وأنّ أسرتي انحدرت إليها من بلدة فريانة قُرب قفصة من البلاد التونسية، وأن لقب هذه الأسرة عُرف بأولاد تليل، فكل منسوب إليها يسمّو تليلي، ففرع أسرتي في قمار، وفي تاغزوت، وشجرته مغروسة في فريانة بأعمال قفصة، وأن انحدار هذه الأسرة كان في حدود النصف الأخير من القرن الثاني عشر للهجرة على عهد علي باشا باي ابن مُحَمَّد بن علي تركي المتوفى سنة 1169 هجرية، وقد اشتهرت هذه الأسرة قبل اليوم بأولاد سيدي تليل، ولهم زاوية بفريانة ما زالت حتى اليوم، وبعد اليوم مشهورة بالعلم والتعليم، وقد تخرّج منها علماء كثيرون انتشروا في البلاد التونسية، وفي الشرق الجزائري، وبهذه الزاوية ضريح سيدي تليل الذي يتصل عمود نسبه، وأصل شجرته بالخليفة الثالث عثمان بن عفان ﷺ حسبما وجدته مثبتا في بطون التاريخ، والذي انحدر إلى سُوفْ من هذه الأسرة هو الشيخ الفقيه العالم السيد أحمد التليلي.

والسبب في مجيء هذا الشيخ إلى قمار وسُوف هو ما ذكره الوزير ابن أبي الصبان في تاريخه الكبير المُسمّى بـ " إتحاف أهل الزمان " من أن علي باشا المذكور بعث الشيخ ومعه وفْدٌ من أعين الخنقة، خنقة سيدي ناجي للصلح بين أهالي سُوف، وبين علي باشا في قصة طويلة ليس هذا محلّها، ومثل الذي ذكره الوزير سمعته من بعض الشيوخ المعمّرين من هذه الأسرة، وأن الشيخ أحمد التليلي جاء عن طريق الخنقة معلما، وقاضيا في قمار.

ومن هنا وقع انبهامٌ، وغموض في تاريخ أحمد التليلي الفرياني في سوف، وفي كيفية إقامته بين ظهرانيْ أهل سوف، أو أهل قمار على الخصوص، فلا نعلم عن ذلك أيَّ شيء على التحقيق؛ إلاّ أنه وُلد لأحمد هذا ولدٌ ذكرٌ اسمه قاسم التليلي، وذلك سنة 1161 هجرية، وقد وجدت تقييدات هامة للشيخ قاسم هذا ذكر فيها أشياء كثيرة من حوادث عصره، وقد ذكر عن نفسه أنه وُلد في في التاريخ المذكور، وأنه رابحي، وأنه نزيل قمار وأنه تولّى خطة القضاء بقمار، وبتاغزوت وقد وجدت له رسومًا شرعية، وعقودا محكمية عليها خطه، وختمه تؤيد كلامه، وتؤكد قوله.

ويذكر قاسم التليلي أنه ولدَ له أبناء منهم أحمد التليلي، ومن أحمد التليلي هذا وُلد عُمر، ومن عمر ولد الأخضر ومن الأخضر

ولد بلقاسم، ومن بلقاسم وُلد هذا العبد الضعيف صاحب التقاييد؛ فأنا إذن مُحَمَّد الطاهر بن بلقاسم بن الأخضر بن عمر بن أحمد بن بلقاسم بن أحمد التليلي الفرياني أحد أحفاد سيدي تليل صاحب الزاوية المذكورة، ومنه إلى عثمان بن عفان ﷺ كما تقدم؛ فهذه نبذة من الأصل الذي نشأت منه.

نشأتي

أثبت الملائكة المكلفون بي في قائمة الموجودين منتصف الليلة السادسة من شهر ذي الحجة سنة 1328 هجرية الموافقة لسنة 1910 ميلادية، وكان الاسم الذي اختاره لي والدي بلقاسم مُحَمَّد الطاهر، ولقد كان يرغب في هذا الاسم، ويتمناه منذ صغره، فلقد أُثر عنه أنه قال في صغره:« إذا تزوّجت، وولد لي ولد سميته الطاهر»، فكنت من بين أولاده الذين ولدوا قبلي، فكنت أتأرجح بين الحياة والموت في فترة الرضاع كلها، فكنت أموت مرارا، وأحيا مرارا إلى أن خرجت من تلك الفترة بسلامة، وقد قضيت مدة الرضاعة كلها، ولم أستطع الكلام، ولم أقدر على إخراج الحروف من مخارجها مدة خمس سنوات كاملة حتى ظُنّ أني أبكم، وإنْ حييتُ، حييتُ أبكم، وعند السنة الخامسة من العمر نطقت هي زجْرٌ للقطة " اسّبْ " وعندها كان سرور الجد والأم ، وبقية أفراد الأسرة عظيما جدا، وفي هذه السنة كان اختتاني، وكانت عادة بيتنا في قمار لا يختتنون أطفالهم إلاّ في السنة الخامسة، والغالب أن يكون الختان في مفتتح تلك السنة.

فكان ختاني سنة 1333 هجرية المتوافقة مع 1914 ميلادية، وذلك في أواسط الصيف.

كُتّاب القرية: وبعد الشفاء من آلام الختان، والبرء من أدواء الصبيان أدخلني والدي بإشارة جدي لأبي كُتّاب القرية المعروف إذ ذاك بجامع " الطُّلبة "، وكان المؤدِّب فيه الشيخ المرحوم السيد أحمد بن حمّ الأخضر بن المحنط المتوفّى حوالي سنة 1342 هجرية، فقضيت في ذلك الكُتّاب سنة كاملة عرفت فيها حروف الهجاء، وقرأت فيها: سبّح اسم ربك الأعلى، وكان التعليم عندنا في ذلك العهد وقبله، وبعده مهضوم الجانب، محتقرا من طرف الجميع، فلا أسلوب، ولا ترتيب، ولا تربية، ولا تعليم، ولا اجتهاد، ولا خط، ولا معاش محترم للمؤدِّب، ولا أجرة قارة له، ولا، فكل شيء في غير موضعه، فالقضية تبتدئ بالنية، وتنتهي بالبركة، وهذا كل ما يتحصّل عليه الطالب من أول دخوله إلى آخر خروجه.

ومن القواعد الكتابية عندنا، والقضايا المُسلّم بها أن الطفل يجب أن لا يحفظ أيّ شيء من القرآن في بادئ أمره، وأن لا يشتغل بالحفظ والتكرار؛ وإنما عليه أن يتعلم استقامة السطور، وكيفية التشطير، وإمساك اللوح والقلم، وإتقان كتابة الحروف، وكيفية وضعها فحسب؛ ويبقى هكذا إلى أن يختم البقرة، أعني يمرّ بكل سور

القرآن قراءة وكتابة،لا حفظًا، وحذقًا؛ أما في المرة الثانية " السلكة"، أو الثالثة فإن الطفل يُلزم بالحفظ لكل ما مرّ عليه من السور، وعلى هذه القاعدة فلم أُكلَّف بحفظ الحزب الذي قرأته في الكُتّاب المذكور؛ لأني تحت سيطرة نظام عام لكل كتاتيب القرية، وهو نظام يضيع معه عمر الصبيّ بقدر ما يخيب أمل والده فيه.

جدّي معلّمًا لي: خرجت من الكُتّاب المذكور، وبأمر جدي الذي لم ير فائدة في الاستمرار على هذه الطريقة المعتادة عندنا، وأخذ هو على نفسه أن يباشر تعليمي مباشرة يحصل معها الأمل، ويتمّ فيها الرجاء، ومن حسن حظي أنه أي الجد كان من حُفّاظ القرآن، ومن الذين جعلوا الدنيا، وأشغالها وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، فشرعت في القراءة عليه من حيث انتهيت عند الشيخ أحمد بن الأخضر المذكور، أعني من سورة سبّح، ونزلت إلى سورة الفاتحة أقرأ كل سور الحزب سورة، سورة مع الحفظ، ثم صعدت من الفاتحة إلى سورة الأعلى كذلك، فلم أمح لوحا، ولم أخرج من سورة إلى أخرى إلاّ بعد الحفظ المتقن.

وبقيت كذلك محافظا على حفظ ما حفظته، وأحفظه إلى أن وصلت إلى سورة الجنّ، فألزمني الجدّ بإعادة الكرّة، والنزول إلى سورة الحمد" الفاتحة " مبالغة في الحفظ، وإمعانا في إتقانه، وجودته؛ وأنا مع

ذلك مُكرهٌ لا بطلٌ، فالأطفال دائما يكرهون النزول ولو كان في فائدتهم، ويحبون الصعود، ولو كان في مضرّتهم هذه شنشنة أطفال كتاتيبنا المعروفة، وكنت إذ ذاك أتصوّر معنى المثل القائل: " أبرد من الكلام المُعاد "، ولم أهتد للمثل القائل:" المكرّر أحلى" ، والأسهل أولى، وعندما أتممت الكرّة إلى الفاتحة استأنفت القراءة من سورة الجنّ إلى سورة الجمعة صاعدًا، ثم رجعت نازلاً إلى سورة الجن، ثم استأنفت الشروع من سورة الصف إلى أن وصلت إلى سورة الرحمن، فكررت نازلا إلى سورة الفاتحة مع السرعة اللازمة ثم استأنفت السير من سورة القمر حتى سورة الأحقاف، ثم رجعت إلى سورة القمر، وأنا في كل ذلك كأني ناقف حنظل، أو آكل المرّار.

وكنت أحسد صبيان الكتاتيب على بلوغهم أعلى سورة مني، ولم أقرأ حسابا للحلقة، ولا للنسيان، ولم أفكر أني أكثر منهم حفظا، وأجود منهم قراءة، واستمرّ مؤدبي الجدّ على هذا المنوال، فابتدأت من سورة الأحقاف حتى وصلت سورة يس، ثم نزلت إلى سورة الأحقاف، ثم استأنفت القراءة من سورة فاطر إلى سورة السجدة، ثم رجعت كذلك إلى حيث بدأت ثم استأنفت من سورة السجدة إلى سورة مريم، ثم نزلت إلى سورة الفاتحة.

وقد برّر جدي هذا النزول غير المنتظر بأنه أي جدي لم يبق له من العمر ما يستطيع معه مواصلة تعليمي للقرآن كله، ويخشى إذا أنا صعدت في القراءة إلى سورة البقرة أن لا أحفظ ما أكتب، الحفظ الذي يريده هو لي من الجودة، والإتقان، وذلك لا يُرضيه، ولا يرغب فيه. فقال لي يا بني:

« إن نفسي لا تطمئن، وقلبي لا يسكن، وصدري لا ينشرح حتى أراك تُجيد حفظ النصف الأخير من القرآن الكريم على أقلّ تقدير؛ فإذا أنت حفظت هنا النصف الذي تعبت فيه معك حفظا جيدا، ومتُّ أنا بعدها، متُّ منشرح الصدر، منثلج الفؤاد راضيا عن نفسي، مغتبطا بعملي معك، وتعليمي إياك.»

وهكذا كان يبرّر موقفه معي، إلّا أن الله تعالى مدّ في عمره، وزاد في أجله فأوفيت على النصف الأخير كله، وأتيت عليه حفظا ثم استأنفت سيري في القراءة والكتابة من سورة الكهف، وهنا تغيّر أسلوب التعليم، ونظام القراءة فألزمني الجد رحمه الله الذي ما زال يباشر تعليمي بأن أحفظ اللوح، و القدْر الذي أريد كتابته من السورة في المصحف قبل أن أكتبه في اللوح من حفظي له من إملائه هو، أو نقله من المصحف مباشرة، ثم كلفني في هذه الفترة بأن أقرأ وأحفظ متن ابن عاشر في الفقه المالكي في أثناء قراءتي بأن أكتب من المتن

كل يوم خمسة أو ستة أبيات في مؤخرة اللوح، أو في أوله إذا لم تتسع المؤخرة، وأحفظها كما أحفظ القرآن، وهكذا دام العمل إلى أن حفظته، ثم شرعت في متن الأجرومية كذلك إلى أن حفظته.

وكان في نيته رحمه الله أن يرسلني إلى جامع الزيتونة بتونس لتلقّي العلوم العالية، فكلفني فكلفني بقراءة الكتب الدراسية للمرحلة الابتدائية، فامتثلت لأمره، وانصعت لقوله، فاسترسلت على تلك الخطة المخطّطة إلى أن وصلت إلى سورة الأعراف.

في كُتّاب الشيخ الطيب بن الزآ: وعندها عجز الجدّ كل العجز عن إتمام ما كان يؤمله من تأديبي وتعليمي مباشرة وعلى يده، فأشار عليّ بالذهاب إلى كُتّاب الشيخ الطيب بن الحاج علي بن الزّآ بجامع سيدي ابراهيم في الجهة الشرقية من القرية، وكان هذا الشيخ المؤدِّب تقيا، ورعا، عالما، فقيها له إلمامٌ بمبادئ العلوم العربية، فدخلت الكُتّاب واستأنست بالشيخ المؤدّب إذ له من التقوى، والورع ما يعين تلاميذه على الطاعة، والاجتهاد، واخلاص في العمل، وله من المبادئ ما يستطيع معه أن يحلّ مشاكل الطلبة المتعاطين للمبادئ العلمية، ويجيب على أسئلتهم، وله رحمه الله ولوع بتتبع العلوم، وآثارها كيفما كانت، ومن أي نوع هي حتى حصلت له الملكة المُقنِعة، وقد انتفعت به كثيرا.

وهكذا بقيت مع الشيخ الطيب أكتب اللوح، وأحفظه، وأكرّر عليه ما كتبتُ، وحفظت ومع ذلك فلم أنقطع في هذه الفترة عن الشيخ الجد، فكان يتفقّد تكراري وأعمالي المرّة بعد المرّة إلى أن أتممت سنة على هذا المنوال، ثم عجز الشيخ الجدّ حتى عن التفقّد والتكرار، والكمال لله وحده.

حضور دروس الشيخ اللقاني: فوجّهت وجهتي كلها إلى الشيخ الطيب المذكور، وقد كنت في تلك الأثناء أحضر دروس الشيخ مُحَمَّد بن السايح اللقاني عندما يكون في قمار يدرّس لأبناء الزاوية التجانية، فقد بقي اللقاني سنوات معلما، مؤدبا في الزاوية المذكورة.

وقد نظّم دروسا مدرسية للناشئة التجانية بقمار على نظام المدارس الابتدائية بتونس، علاوة على دروس الدين للعامة القمارية، وذلك كله في الزاوية المذكورة فكنت أحضر ما أمكنني من دروسه، وذلك سنة 1342 هجرية، وما قبلها الموافقة لسنة 1923 ميلادية، كما كنت أحضر بعد ذلك، وفي أثناء ذلك دروس الشيخ الحاج عمار بن الحاج عبد الله بن الأزعر القماري الذي جاء إلى قمار خصيصا للتدريس بها باتفاق مع أهل القرية قمار، وكان هو الآخر نظم مدرسة ابتدائية لطلبة قمار، وكان لي أنا ميْلٌ إلى تعلّم العلوم العربية قبل مجيء الشيخيْن اللقاني، والأزعر بسبب التنشيط الذي

وجدته في جدّي رحمه الله حتى بعث في نفسي هذه الرغبة، وذلك الميل إلى تعاطي العلوم، فكنت ألازم دروس الشيخ أحمد بن القا رحمه الله في الفقه، والنحو وكان هناك لفيفٌ من الطلبة الزملاء الذين يميلون إلى طرْح المشاكل العلمية بين بين الطلبة الصغار، فزادني ذلك تعطشا واشتياقا إلى تلك العلوم، والمعارف.

ثم إن الشيخ اللقاني انتقل إلى جامع الزيتونة مدرسًا به سنة 1344هـ ، الموافقة لسنة 1925م، وفارق قمارا، والزاوية جرّاء ما لقيه من إهانة وعدم اكتراث به، وبمكانته على ما قيل، والشيخ أحمد بن القا انخرط في سلك التلاميذ، والطلبة، ولم يعد شيخا، ولا مدرسا، بل كان طالبا يطلب العلم، فلم يبق بقرية قمار إلا الشيخ عمار بالأزعر، فكانت أغلب دروسي التي قرأتها في السنوات الأخيرة عليه، كما أنه اشتهر بقيادة حركة الإصلاح بقمار، وسُوفْ عامة، فكان مرفوقا من جميع المصلحين، غير أن ذلك كوّن له أعداء، وأضدادًا من الطرفيْن، ولا سيّما التجانيين منهم.

وكنت في بادئ أمري لمّا كان الشيخ الجدّ حيًّا أنقل كل ما أسمعه، أو أفهمه من الدروس إلى الشيخ الجد، وأعيده عليه، وكانت تلك هي العلاقة الوحيدة بيني وبين الجدّ، وكان يحرّضني على الحضور

للدروس، وأعيد ما أفهمه عليه، وقد قوى عزمه، وتحقّق أمله على أن يرسلني إلى تونس لإتمامي معلوماتي.

وصيّة جدّي للوالد: حتى أنه أوصى والدي بأنه إذا قدّر الله له بالوفاة قبل تحقيق الأمنية بإرسالي إلى الزيتونة أوصاه بأن يلتزم، أعني الوالد بإرسالي إلى تونس، وأن تكون نفقة القراءة ومصاريف السفر، والإقامة في سنوات التعلّم كلها من مال الجدّ، ورزقه، وأن يخصم له ثلث المال، وينفق منه عليّ حتى أُتمّ الدراسة، وأتحصّل على شهادة التطويع، فكانت تلك منه وصيّة نافذة؛ فقام الوالد بها أحسن قيام.

فأتممت دراستي، وتحصلت على شهادة التطويع، فأكمل الله بذلك أمنية الجدّ بعد وفاته، وتحقّقت بعد مماته أثابه الله خير ثواب، وأجزل الله له العطيّة في يوم المآب، وذُكر لي أن والدي امتنع أوّل الأمر لأسباب تخصّه، فشدّد عليه الجد، وهدّده بأنه إنْ لم يفعل، ولم يمتثل وزّع رزقه بيده على منْ يحبّ، ويريد، وأدخلني في جملة المُوزّع عليهم رغم أنف الوالد، وعندها امتثل وطاع، وعدل عن الامتناع.

ولمّا أعددت العدّة للتجرّد في طلب العلم والتوثّب إلى تلقّي المعارف، ادّعيتُ أني حفظت القرآن وانفرطت من طلبة الكتاتيب إلى جنود العرفان، فلازمت دروس الشيخ عمار بن الأزعر من ساعة قدومه إلى قمار سنة 1343هـ ، الموافقة لسنة 1923م حتى يوم

ارتحالي إلى تونس، وكان هذا الانقطاع إلى العلم، والتجرّد له بعد ما أكملت السلكة الثالثة للنصف الأول من القرآن، وحفظته؛ وأمّا النصف الثاني الذي هو الأخير فلم أعاوده، أو أزده على ما تحصلت عليه أيام الجدّ، إذ في اسلوبه ما فوق الغاية، وأكثر من الكفاية.

وهنا ينتهي بي عمر الكُتّاب، والمحضرة وحياة العصا والمؤدِّب، وخلاصته كما يلي:

وُلدت سنة 1328 هجرية الموافقة لسنة 1910 ميلادية، ودخلت كُتّاب القرية سنة 1333 هجرية، الموافقة لسنة 1915 ميلادية بُعيْد الاختتان، وكان أول مؤدب لي هو الشيخ أحمد بن الأخضر بن المحنط، ومكثت عنده سنة عرفت فيها حروف الهجاء، وبعض سور من القرآن العظيم، وبعده كان مؤدِّبي الشيخ الجد الأخضر بن عمر التليلي حتى سنة 1342هـ ، الموافقة لسنة 1923م، فانتقلت إلى كُتّاب الشيخ الطيب بن الزّا في جامع سيدي ابراهيم، ثم كان الانقطاع تمامًا من الكُتّاب إلى العلم سنة 1344 هجرية، الموافقة لسنة 1927 ميلادية، فمدّة التعلّم الأول للقرآن كانت إحدى عشر سنة فقط، وهي بالنسبة لي العمر القرآني الذي تخلّلته بعض أيام العمْر العلمي والدراسي.

حياتي المدرسية بقمار

قلت إن جدي لمّا رأى أن لي قابلية لتعلّم العلم، وتوسيع دائرة الفهم أوصى والدي، والد الوصية بالتهديد بأنه يجب عليه مساعدتي على الذهاب إلى تونس أطلب العلم، وتتميم الدراسة حتى أنال شهادة التطويع كما تقدّم، ولمّا علمت أنا الآخر، وتحقّق بأني سأذهب إلى تونس، زدت اجتهادا على اجتهاد، وحرصا فوق حرصي السابق؛ فما أزفت ساعة الرحيل إلى تونس، والسفر إلى الزيتونة حتى أتممت قراءة أغلب الكتب الدراسية بالنسبة إلى المرحلة المتوسطة أعني الشهادة الأهلية بمتابعة دروس الشيخ عمار بن الأزعر نزيل المدينة المنورة الآن، الذي هاجر ليها سنة 1358 هجرية، الموافقة لسنة 1937 ميلادية، وتجنّس بالجنسية السعودية، فهو الآن من المدرسين بالحرم النبوي، وفي مدرسة العلوم الشرعية، فقد قرأت عليه شرح ميارة علي بن عاشر، وكفاية الطالب على الرسالة، والجزء الأول من مختصر خليل، وشرح الشرخيتي على الأربعين نووية، وشيئا من تفسير الجلالين، وشرح الرحبية في الفرائض، وشرح الأجرومية، وشرح القطر، ومقدمة الإعراب، والجزرية في التجويد، وشرح بانت سعاد، وشرح الهمزية، والكثير من الشفا للقاضي عياض، وشرح

إيساغوجي في المنطق، وكذلك شرح السلم، والكثير من صحيح البخاري؛ بل كله مختصرا، وذلك في الأشهر الثلاثة وهي: رجب، شعبان، رمضان من كل سنة.

هذا وقد تقدّم لك أني قرأت بعض هذه الكتب على غيره مثل الشيخ أحمد بن القا، والشيخ اللقاني، كما قرأت الكثير من المحفوظات المدرسية على الشيخ اللقاني مثل قصيدة ابن الوردي المسماة بنصيحة الإخوان إلى كثير من المقتطفات النثرية والشعرية، والآداب الأخلاقية، وقرأت شرح الحطّاب علي الورقان في الأصول، وشرح لامية الأفعال في الصرف، وشرح الجوهر المكنون في البلاغة على الشيخ الشاب الأديب مُحَمَّد العزوزي بن الشيخ الصادق حوحو قاضي قمار يومئذ، وقد سلم من خِطّة القضاء منذ سنوات، وهو الآن مقيم ببسكرة.

شيخ العلم والإصلاح عمّار بن الأزعر: والفضل الأكبر في تأديبي، وتثقيفي، وتربيتي التربية الإصلاحية الدينية، الوطنية يرجع إلى الشيخ عمار بن الأزعر، فهو الذي نشر الإصلاح، والدين الصحيح في الأوساط الصحراوية بسُوفْ، وعلى الأخص بقمار، وتخرّج عليه الكثير من طلبة قمار علما، وأدبا، وإصلاحا، وخُلُقا فكان حامل لواء الجهاد العلمي، والإصلاحي في سوف، وكنّا جنودا له، ومن

ورائه، وكان شديد الوطأة على المبتدعين، والطرقيين، والقبوريين، ومن لفّ لفّهم، وجرى خلفهم، وبتلك الشدّة وهاتيك الوطأة ترك أثرا إصلاحيا في قمار، لا يمكن أن يُمحى منها مهما طالت السنون، وتعاقبت الأجيال، وكانت قبله قمار، وعامة قرى سُوفْ عُشُّ البدع، والضلالات، ووكر الطرقية الضالّة المُضلّة.

فكان الصراع في قرية قمار بين الحقّ والباطل، والإصلاح والإفساد طويلا، ومستمرًّا أيام إقامة الشيخ بيننا في قمار، وقد امتُحن هو في ذاته عدّة مرّات، وابتُلي من طرف الحكومة الفرنسية، والطرقية، ومن الكثير من الرُّعّاع التابعين لكل ناعق، وامتُحن حزبه بعده بمثل ما امتُحن به هو، فجاءت حوادث 18 أفريل سنة 1938 ميلادية، وبهذه الحوادث في سوف تميّز الحق من البطل، وتمحّص الصحيح من السقيم، وتبيّن الرشد من الغيّ، ومن بكى، أو تباكى، فلم يصبر على حمْل لواء الثبات في تلك الزعازع إلاّ ذلك النبات الأزعري؛ إلاّ من شذّ، ومن شذّ في النار، ولم يأبه لتلك الجعاجع إلاّ هو وقد تحمّل هؤلاء المصلحون النفي، والسجن، والضرب، وكل أنواع العذاب في سبيل عقيدتهم وما نقموا منهم إلاّ أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد.

حياتي الدّراسية في تونس

ولنرجعْ بعد هذه الفذلكة إلى ما نحن بصدده فنقول فبعدما أعددت العدة، وأكملت المدّة سافرت إلى تونس سنة 1346 هجرية، الموافقة لسنة 1927 ميلادية، فاتح أكتوبر في بعثة علمية مؤلفة من ثلاثة أنفار، وهم: الشيخ علي بن سعد بن اخرن، الملقّب بخيراني، والشيخ عبد القادر بن الحاج عمار الياجوري، وكاتب هذه الخلاصة التاريخية، وقد وجدنا الشيخ المرحوم عمر بن مُحَمَّد باري هناك بتونس، وقد تحصّل على دروس السنة الأولى في جامع الزيتونة، وكذلك الشيخ عبد القادر الياجوري تحصّل عليها في توزر، أو في الجامع الزيتوني، لأنه سبقنا إلى تونس بسنة، ووجدنا أيضا الشيخ الطيب بن سي عمار القماري طالبا بالزيتونة منذ سنوات مع اشتغاله بالخياطة لنيْل معاشه، كما وجدنا الشيخ عمار باري مشتغلا ببيع الماء ليكسب معاشه، ويستعين به على طلب العلم، فكان عدد هذه البعثة العلمية من قرية قمار خمسة نفرٍ جمعتهم في تونس وحدة الهدف، واتحاد الغاية.

وفي الحقّ أن الشيخ الطيب كان من قافلة الشيخ اللقاني، والشيخ عمار بن الأزعر، ولكن الذي خلّفه عن قافلته عدم توفّر

معاشه، وضآلة اكتسابه، ومردود مهنته، فجاءت بعثتنا فعّدّ منها، ثم تخلّف ثم تخلّف عنها، إذ لم يتحصّل على شهادة التطويع إلاّ بعد ما تحصل الرفاق عليها بسنة، أو سنتيْن، فكان المجاهد الأول حقّ الجهاد من أبناء قمار في الحقبة الأخيرة فجزاه الله عن العلم، وأهله خيرا.

وصلنا إلى تونس في التاريخ المذكور، فكانت سكناي المُعدّة لي قبل سفري في وكالة سوق اللّفة تحت رقم 627 المعروفة بوكالة الجريدية، أو وكالة ابن عرفة فاكتُري لي فيها بيت بمعيّة البشير بن عبد الله بن الأزعر القماري، وبمعيتنا الشيخ عبد القادر الياجوري، ثم سافر البشير المذكور إلى قمار، فخلفه في البيت الشيخ علي بن سعد الطالب الزميل فتمحض البيت للتلامذة القماريين، ثم فارقنا الشيخ فخلفه في البيت البشير بن الخوصي، ثم في أواخر سنة 1347 هجرية الموافقة لسنة 1929 ميلادية انتقلت إلى المدرسة القاسمية التي أسسها في تلك السنة المرحوم السيد الحاج قاسم بن بويوسف الجربي جزاه الله عن المسلمين خيرًا، وقد استعنت في السعي على تحصيل السكنى في المدرسة بشيخنا الأستاذ الشيخ أحمد الجريدي، وشيخنا الشيخ أحمد بن عيّاد صاحب التصانيف الدينية، والرسائل الفقهية القصيرة، فكان كل منها خير وسيلة بخير غاية، فجزاهما الله أفضل ما يجزئ به

عباده الصالحين، ثم ما قُبل طلبي للسكنى، وتحصلت عليها في المدرسة التي اشترطها مؤسسها الشيخ الحاج قاسم المذكور على كل تلميذ يريد السكنى فيها ملتزما إياها، عاملاً بمقتضاها، ومن شروط هذه المدرسة أن يسكن إثنان في كل بيت، فكان زميلي في البيت والسكن الشيخ علي بن السويح المطوي القابسي، وهو زميلي أيضا في الدراسة، وفي السنة، وفي الطريقة الدراسية، أو في رقم القسم من تلك السنة، وفي الفكرة أيضا؛ فاستعنت به على نقْل أثاثي وأدباشي من بيت الوكالة المذكورة إلى بيت المدرسة الجديدة، ومن ثمّ كان زميلي في كل ما ذكرت حتى نهاية الدراسة، أو قبلها بسنة في مدرسة جامع الزيتونة، كما سيأتي، وقضينا معًا في ذلك البيت، وفي تلك المدرسة عدة سنوات حتى سنة 1352 هجرية الموافقة لسنة 1933 ميلادية.

وفي أثناء تلك السنوات أي في سنة 1350هـ ، الموافقة لسنة 1931م أي في سنة كان الشيخ علي بن بلقاسم الشابي التوزري ثالثنا في البيت، وهو قريب للشيخ علي السويح قرابة تجارة، لا قرابة نسبٍ، وفي السنة التي تليها وهي سنة 1351 هجرية، الموافقة لسنة 1932 ميلادية، كان رابعنا في البيت الشيخ مُحَمَّد الحفناوي سي الأخضر بن مبارك هالي، وهو من جانبي، وفي هذه السنة فارق

الشيخ البيت، فبقينا ثلاثة، وفي السنة التي تليها، أعني سنة 1352 هجرية، الموافقة لسنة 1933 ميلادية انتقلت أنا والشيخ الحفناوي إلى مدرسة جامع الهواء فسكنا معًا في بيت الشيخ عبد القادر الياجوري الذي سكن بدوره في بيت الشيخ الهاشمي بن عبد القادر الوادي التكسبتي الحلاّق برحبة الغنم، فهو تلميذ، وحلاّقٌ في آنٍ واحد.

حصولي على شهادة التطويع: وقد أكملت في تلك المدرسة سنة كاملة، وهي سنتي الأخيرة في الدراسة، وفيها تحصّلت على شهادة التطويع في جملة من تحصّل عليها من الطلبة، وكذلك الشيخ عبد القادر الياجوري، فقد نال تلك الشهادة في تلك السنة، وهي سنة 1353هـ، الموافقة لسنة 1934م، وبعد أيام من تحصيل الشهادة قضيتها في الراحة، والاستجمام من تعب الدراسة والمطالعة، والمراجعة، والامتحانات التي لم تبق فيّ لحمًا، ولا دمًا، وكانت تلك الأيام القليلة أيام وداعي جامع الزيتونة المعمور، وتونس الخضراء في نفس الوقت، وبعد تلك الأيام غادرت تونس إلى مسقط الراس، ومهبط الرجليْن بلدتي قمار، حيث الأهل، والأتراب، والإخوان، والأحباب، وكنت في نشوة النجاح، فلم أحسب أيّ حساب لما ينتظرني في تلك القرية من آلام، وعذاب ومسؤوليات صعابٍ وُئدت

معها معارفي، وماتت أفكاري، وقُبرت ثقافتي، ودُفنت علومي، فكنت لمّا غادرتُ تونس مغادرا لنفسي، ولحسّي، ولأُنسي ودرسي، وحتى لبني جنسي، حيث سكنت البوادي، وتركت النوادي، وألفتُ الغبراء، وعفت الخضراء، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

الكتب التي قرأتها: تلك هي حياتي المدرسية أو حياتي في المدرسة من حيث السكنى، وما إليها، ولم يبق منها عليّ إلاّ أن أدوّن هنا أسماء الكتب التي قرأتها بالزيتونة، والشيوخ الذين تلقّيتُ عنهم تلك الدروس والكتب المقرّرة بالجامع الأعظم، أسماء أساتذتي بالزيتونة، والكتب التي قرأتها عليهم.

فقلت لك فيما تقدّم إن الشيخ عمار بن الأزعر أقرأني غالب كتب السنة الأولى، والثانية من المرحلة الابتدائية، وأزيدك هنا أنه كتب لي مكتوبا بخطّ يده كشهادة منه لي، وإجازة منه إليّ لتلك الكتب، وبأنني جدير بالسنة الثالثة في جامع الزيتونة، وسلّم لي هذه الشهادة لاستظهر بها، وأسلمها للنظارة العلمية إذ ذاك لتنظر فيها، وفيما قاله الشيخ عمار لأنه تخرّج من الزيتونة، فيجب أن يعتبر تدريسه في قمار كتدريسه في الزيتونة، وكانت هذه رغبة الشيخ؛ أمّا رغبتي أنا، وعليها عزمت، وصمّمت فهي إعادتي لبعض الكتب التي

قرأتها في قمار على الشيخ، إعادة قراءتها بالزيتونة إتقانًا لها، وكان في نيّتي أنْ لا أستظهر بتلك الشهادة، ولا أسلّمها للنظارة، وكان رأيي أن أدرس كتب السنة الثانية من المرتبة الأخيرة في نظام جامع الزيتونة، وقد عزّزت رأيي هنا برأي الشيخ اللقاني، والشيخ مختار البجاوي؛ واعتمادا على ذلك شرعت في السنة الثانية ،سنة القطر، فقرأت الجزء الأول من كفاية الطالب على رسالة ابن أبي زيد القيرواني على الشيخ حسن الشواشي، وعلى الشيخ العربي العكرمي، وقرأت إيساسوخني في المنطق مرتيْن، وشرح القطر لابن هشام على الشيخ المختار البجاوي، وقرأت عنوان النجابة في الرسم والكتابة على الشيخ عثمان بن منصور، وكذلك كتاب الإقناع في رسم اليراع على الشيخ عثمان بن منصور، وهو مؤلفه، وقرأت شرح الباجوري على الشيخ مصطفى القمودي، وشرح المارغني على جوهرة التوحيد على الشيخ الطيب قرداح، وقرأت الزنجاني في الصرف على الشيخ أحمد أمين، وقرأت عليه شرح الجرانية في الجُمل، وقرأت شرح ميارة على ابن عاشر في الفقه على الشيخ السويح، وعلى الشيخ القمودي المذكور، وقرأت فن القراءات رواية ودراية على شيوخ أجلّة منهم الشيخ المختار المؤدب، والشيخ مُحَمَّد الجديدي البنزرتي، والشيخ مُحَمَّد الهادي الكبلوسي، والشيخ أبو الأذنين.

كل هؤلاء قرأت عليهم الأداء، وجمعت على بعضهم بسَمَاء، ووصلت الأداء على الشيخ المختار المؤدب عند حزب والمحصنات من سورة النساء، وجمعت بسماء على الشيخ الكلبوسي، وقرأت عليه شرح الجزرية، وأضفت إلى رواية ورش رواية قالون على الشيخ أبو الأذنيْن. ولمّا كنت معتنيا بالعلوم أكثر ممّا أنا معتنٍ بالقراءات كان جانب القراءات مني ضعيفا، وكان قصْدي من فنّ التجويد هو أن أتحصّل على الضروري، والمتحتّم عليّ منه حتى لا أكون ممّن قيل فيهم : «منْ لا يجوّد القرآن آثمٌ»، وكان أملي أن أتجرّد لعلم التجويد بعد ما أتحصّل على شهادة التطويع في العلوم إنْ سمحت الظروف، وسنحت الفرصة؛ وإلاّ فقد عرفت الواجب منه، وهو الأداء، وكيفية قراءة القرآن؛ إلاّ أن الله لم يشأْ إلاّ ما شاء.

كنت في هذه السنة مطلق العنان غير متقيّد بالرتبة، ولا بالكتب، ولا بالشيوخ، ولا ملزم بطريقة خاصّة، وليس لي دفتر يوجب عليّ اتباع المقرّر، فكنت أتخيّر أحسن الكتب، وأفْضل الشيوخ، وألْيق الأوقات؛ فكانت دراستي في تلك السنة كما أشاء، وأريد، وأحبّ وأختار؛ ولمّا انتهت السنة الدراسية، وأزفت ساعة الاختبار، والادعاء كنت كامل العدة وافر الأدوات، فكتبت طلبا أدّعي فيه قراءة كتب السنتين الأولى والثانية من المرتبة الأخيرة طالبا

أن يُجرى عليّ امتحان فيهما، وسلمت الطلب للنظارة العلمية بالجامع، فقُبل طلبي، وكان من نظام الامتحانات بالجامع أن يؤخر امتحان التلامذة الرسميين الداخلين تحت النظام، فانتظرت حتى آن أوان اختباري، فكان الذي اختبرني الشيخ المرحوم الحاج أحمد العياري، والشيخ مُحَمَّد الحطاب بوشناق، فنلت مع نجاحي ملاحظة " حسن جدا" ، وكُتبتْ هذه الملاحظة في دفتري الذي انخرطت به في سلك النظام الزيتوني للدراسة الدائمة.

ولمّا حانت السنة الدراسية للعام القادم وجدت نفسي مقيدا بنظام محكم لا أستطيع التفلّت منه، فالشيوخ، والكتب والأوقات والطريقة والتحضير، والتمرين والواجبات، والحصص وكل ما يتعلق بالدراسة؛ كل ذلك تحت مراقبة شديدة فلا يسمع التلميذ إلاّ الاتباع التام للنظام العام حتى يستحقّ الحقوق المدرسية كاستحقاق بيت في المدرسة، وخصْم نصف المعلوم في كراء السفر في السكك الحديدية التونسية، وغير ذلك من الحقوق والواجبات للتلميذ الزيتوني النظامي، وكانت كُتب السنة الدراسية التي أُلزم بها حسب القانون كما يلي: وهي السنة الثالثة من المرتبة الأخيرة، قرأت الجزء الثاني من كفاية الطالب على الرسالة في الفقه على الشيخ العربي الدرعي، وعلى الشيخ الحاج أحمد العياري في وقت المقرّر، وقرأت شرح

الماكودي على ألفية ابن مالك في النحو، وعلى الشيخ حمّادي بن الأمين، والشيخ علي بن الخوجة الأصهب، وقرأت شرح الحطّاب على الورقات في الأصول على الشيخ مُحَمَّد بن الزنايقية، وقرأت عليه أيضا الباجوري على السلم في المنطق، وقرأت جوهرة التوحيد على الشيخ أحمد عيّاد، وقرأت قسما من شرح الماكودي على الألفية على الشيخ حسن بن يوسف، وقرأت الإنشاء، والرسم على الشيخ مُحَمَّد بن الزنايقية، وقرأت من الاستعارات للسمرقندي بشرحي الملّوي، والشيخ عثمان بن المكي على الشيخ أحمد عياد، هذه هي كتب السنة الثالثة، وهؤلاء هم شيوخي فيها فجزاهم الله خير الجزاء.

وقرأت في السنة الرابعة الكتب المقررة الآتية على الشيوخ المقرّرين لها، فقرأت الجزء الأول من شرح الدردير على مختصر خليل على الشيخ محمود بن قاسم ساليس الجرْبي، وقرأت الجزء الأول من شرح الأشموني على خلاصة ابن مالك في النحو على الشيخ العربي الماجري، وقرأت الجزء الأول من التاودي على العاصية على الشيخ الحاج أحمد العياري، وقرأت شرح الرحبيّة في الفرائض، ومراح الأرواح في الصرف على المرحوم الشيخ الشاذلي بن ضيف، وقرأت جوهر المكنون للأخضري في البلاغة، وشرح الوسطى في العقائد على الشيخ المرحوم مُحَمَّد العزيز النيفر، وقرأت علم الحساب، والمساحة

على الشيخ إبراهيم النيفر، وقرأت شرح الشبرخيتي على الأربعين نووية في الأحاديث النبوية، وإيصال السالك في أصول مالك على الشيخ أحمد بن عمار الشواشي، أعني مهنة " صناعة الشاشية " ، وقرأت علم الإنشاء والرسم على الشيخ مُحَمَّد الصالح بن مراد، وقرأت كتاب أدب الدين، والدين للماوردي على الشيخ الشاذلي الجزيري.

تلك هي كتب السنة الرابعة، والسنة الأولى من المرتبة المتوسطة، فرحم الله أولئك الشيوخ، ونفعنا بعلمهم، وعفا الله عنا وعنهم، وجمعنا وإياهم في جنّات عدن تجري من تحتها الأنهار مع النبيئين، والصدّيقين، والشهداء والصالحين، إنه قريب مجيب دعوة الدّاعين.

قرأت كتب السنة الخامسة، والثانية من المتوسطة كما يلي، فقرأت الجزء الثاني من شرح الدردير على مختصر خليل في الفقه على المرحوم الشيخ معاوية التميمي، وقرأت الجزء الثاني من شرح التاودي على العاصمية على الشيخ البشير النيفر، وقرأت الجزء الثاني من شرح الأشموني على الألفية على الشيخ مُحَمَّد الهادي العلاّتي القيرواني، وقرأت الجزء الأول من شرح التنقيح للقرافي في الأصول على الشيخ مُحَمَّد الزغواني، وقرأت الجزء من شرح التهذيب في المنطق على الشيخ الطيب سِيالة، والجزء الأول من السعد على التلخيص في البلاغة

على الشيخ المرحوم الحاج أحمد العياري، وقرأت شرح الوسطى للمرة الثانية في العقائد على الشيخ مُحَمَّد التاجي بن مراد، وقرأت الحساب والجغرافيا على الشيخ مُحَمَّد الدّامرجي، وقرأت خلاصة تاريخ تونس للمرحوم حسن حسني عبد الوهاب على الشيخ الناصر الصدام، أو الصدام .

فهذه هي الكتب المقررة للسنة الخامسة، وهؤلاء هم شيوخنا أثابهم الله، وغفر لهم ولنا بهم. قرأت كتب السنة السادسة المقرّرة كما يلي ترتيبا، فقرأت الجزء الثالث من شرح التاودي على العاصمية، وهو الجزء الأخير من الكتاب قرأته على الشيخ البشير النيفر، وقرأت الجزء الثالث من شرح الأشموني على الألفية على الشيخ مُحَمَّد الحطاب بوشناق، وقرأت الجزء الجزء الثاني من شرح السعد على التلخيص في البلاغة على الشيخ مُحَمَّد الصالح بن مراد، وقرأت الجزء الثاني من شرح التهذيب للعطار على الشيخ الطيب سؤيَاله، وقرأت القسم الفقهي من شرح الدرة البيضاء في الفرائض على الشيخ محمود بن قاسم ساكيس، وقرأت الجزء الثاني من شرح التنقيح للقرافي على المرحوم الشيخ معاوية التميمي، وفي غير الوقت المقرّر قرأته على الشيخ مُحَمَّد الزغواني، وقرأت شرح المعلقات على الشيخيْن معاوية التميمي، ومُحَمَّد بن السايح اللقاني، فهذه كل الكتب المقرّرة

للسنة السادسة، وهؤلاء هم شيوخنا فيها يرحمهم الله برحمته الواسعة، وغفر لهم.

وقرأت كتب السنة السابعة مرتّبة كما يلي:

فقد قرأت الجزء الرابع من شرح الدردير على مختصر خليل على الشيخ أحمد الجريدي الجربي، وقرأت الجزء الثالث من شرح السعد على التلخيص على الشيخ ابراهيم النيفر، وقرأت القسم العملي من الدرة البيضاء في الفرائض على الشيخ مُحَمَّد الشاذلي الجزيري، وقرأت التحفة المرضية في الأخبار اللونية والتاريخ الإسلامي العام على الشيخ مُحَمَّد الشاذلي الجزيري أيضا، وقرأت الجزء الرابع من شرح الأشموني على الألفية على الشيخ مُحَمَّد الصالح بن مراد، وقرأت عليه أيضا مختصر البخاري لابن أبي جرة، وقرأت الحساب والرسم في غير الوقت المقرّر على الشيخ ابراهيم النيفر، وقرأت شرح البيقونية في مصطلح الحديث، مع شرح قصيدة بانت سعاد لابن هشام على الشيخ مُحَمَّد بن السايح اللقاني.

إضراب الطلبة بجامع الزيتونة: ولمّا كانت هذه السنة سنة 1351 هجرية، الموافقة لسنة 1932 ميلادية سنة إضراب الطلبة عن القراءة، واعتصامهم عن الدراسة بالجامع الأعظم من أجل مطالبهم.

ومن مطالبهم أن يرجع شيخ الجامع وهو الشيخ الطاهر بن عاشور عن فتواه التي أُشيعت عنه بأنه جوّز التجنيس بالجنسيات الأجنبية كالفرنساوية مثلا؛ وإلاّ فلا دراسة، ولا امتحان، ولا شهادة، وقد حاولت الحكومة وشيخ الجامع أن تستمرّ الدراسة ، وأن يقع الامتحان، فلم تنجح كل المحاولات، وتمّ الإضراب، ولم يقع أيّ امتحان معتبر اللهم إلاّ لنفرٍ قليل من مخلفات الماضي، نفر لا يُعتبر لا في العير، ولا في النفير؛ وإنما هو الإيراد والتصدير، وقد سُمّي هذا العام بعام التجنيس.

فمن جرّاء ذلك لم تكمل كتب الدراسة، ولم تقع الامتحانات؛ وبالتالي لم تُحسب لي تلك السنة من سني الدراسة اللازمة لي، وطُرحتْ من الحساب، فاستأنفت سنة أخرى وهي السنة المقبلة، وبالضرورة كان فيها تغيير لأوقات الدروس، وللشيوخ، وللكتب وللترتيب، ولكل شيء فكانت قراءتي هذه السنة مرتبة كما يلي:

قرأت الجزء الثالث من السعد، وبه كمُل على الشيخ مُحَمَّد الصالح بن مراد، وقرأت الجزء الرابع من الدردير على خليل وبه كمُل على الشيخ الشاذلي بن ضيف، وقرأت الرابع من الأشموني على الخلاصة، وبه كمُل على الشيخ مُحَمَّد الحطّاب بوشناق، وقرأت القسم العملي من الدرّة البيضاء، وبه كمُلت على الشيخ مُحَمَّد الصادق

الشطي؛ وفي خلال ذلك كله قرأت عليه لباب الفرائض الذي ألّفه هو قبل أن يطبعه، وقرأت فقه اللغة للثعالبي على الشيخ الحطاب، وقرأت الجلاليْن، والكثير من تفسير الكشّاف على الشيخ الناصر الصدام، وقرأت مختصر ابن أبي جمرة لصحيح البخاري على الشيخ حسن بن يوسف، ثم على الشيخ علي بن الخوجة الأصهب، وفي غير وقت القانون قرأت الكافي في العروض، والقوافي على الشيخ التارزي النفطي.

تلك هي كتب السنة السابعة التي ينال فيها الناجح شهادة التطويع، وقد كنت من الذين أسعفهم الحظ فنلت تلك الشهادة عن جدارة واستحقاق في وقتها المعيّن، وآنها المُبين، والمد لله على توفيقه وهدايته. وقرأت أيضا في كتب الدراسة، وغير الدراسة في الجامع، أو خارج الجامع ما يلي من غير ترتيب، ولا توقيت:

فقرأت كتاب الجامع الصغير للسيوطي على الشيخ الحاج أحمد العياري بين العصر والمغرب من كل رمضان في كل سنة، وحضرت عدّة دروس في التفسير على الشيخ مُحَمَّد الطاهر بن عاشور، والشيخ مُحَمَّد بن يوسف المفتييْن المالكي والحنفي، وقرأت قسما لا بأس به من كتاب الفروق للقرافي على الشيخ عبد السلام التونسي، وحضرت دروسًا في الإحياء للغزالي على الشيخ الصادق النيفر القاضي المالكي

رحمه الله في أول أمري، وآخر أمره، وحضرت دروسا في البلاغة على المرحوم الشيخ مُحَمَّد مناشو، وعلى الشيخ عثمان بن الخوجة، ولازمت دروس الشيخ الحاج صالح العسلي الكنبي في مختصر خليل، وكتاب الرسالة بعد صلاة الصبح، وحضرت دروسًا في الفقه أيضا على الشيخ علي بن عامر قبل صلاة الصبح.

دروس خارج النظام الدراسي: هذه الدروس كانت خارج النظام، وداخل الجامع، وحضرت دروسا، ومحاضرات خارج الجامع عن شيوخ تخرّجوا من الجامع وعن غيرهم من أساتذة وعلماء؛ من ذلك أنني لازمت الحضور والمثابرة على محاضرات، أو دروس الشيخ العربي الكابادي شيخ أدباء تونس في الأدب العربي، وقد غادرت تونس ولمّا يغادر في محاضراته العصر العباسي، أو القرن الرابع الهجري، فمحاضراته هذه في الأدب العربي، وتراجم رجاله ابتدأها من العهد الجاهلي إلى أن وصل للعصر العباسي، وحضرت عليه أيضا سلسلة محاضراته في الأدب التونسي، وتراجم رجاله، وقد خرجت من تونس ولمّا يصل إلى الأدب التونسي المعاصر، وكان ذلك سنة 1353هـ، الموافقة لسنة 1934م، وكان رحمه الله آية في الفصاحة، وعدم التلكأ في الخطابة والحديث، فأنت عندما تسمعه وهو يحاضر كأنك تقرأ بأذنك كتابا من كتب الأدب القديمة ككتب

الجاحظ، والمبرد، وابن رشيق، وابن شرف، والبديع، وابن الأثير؛ فهو الخزانة في الأدب، وتاريخ الأدب.

وقرأت دروسا في الإنشاء على الشيخ الحسن بن شعبان الشاعر بالخلدونية، وحضرت أيضا دروس الشيخ مناشو في الإنشاء بالخلدونية أيضا، وحضرت بعض المحاضرات التاريخية على الأستاذ عثمان الكعّاك صاحب التآليف التاريخية كموجز التاريخ، وحضرت دروسا في الطب على الحكيم دنقزلي، والحكيم محمود الماطري، وحضرت دروسا في الموسيقى على الأستاذ الدرويش، والأستاذ اسكنير شلفون المصري عندما زار تونس، ومنه سمعت تلحين نشيد بنات النجار« أقبل البدر علينا » قبل تسجيله في الحاكي، وظهوره في المقاهي وغيرها، وحضرت على الأستاذ مُحَمَّد بن عمار الورتتاني محاضراته عن مدنية العرب التي جمعها في كتاب سمّاه "كشْف الحجب عن مدنية العرب"، وقد طُبع الكتاب.

كل هذه الدروس، أو المحاضرات كان مكانها وموضع دراستها مدرسة الخلدونية إلاّ القليل منها كان في البارك، أو قصر الجمعيات الفرنسية، وقد حضرت دروسا في مبادئ اللغة الفرنسية خلال دراستي بجامع الزيتونة، وكانت دروسا مبعثرة ومقتضبة، وناقصة إذْ لم أتمكّن من متابعتها كما ينبغي، وكل أيام السنة فشاركت في مكتب

رحبة الغنم، ومكتب سيدي علي عزوز ومكتب الخلدونية في فترات منقطعة، وأيام من السنة بين الساعة السادسة والثامنة مساء، وبسبب هذا الخلل لم أتحصّل على طائل يذكر، فيُشكر.

والآن، وفي هذه اللحظة التي أسجّل فيها هذه الكلمات أنشد مع الفرزدق:

ندمت ندامة الكسعيّ لمـّا * * * غدت منّي مطلقة نوار

أو أتمثّل قول الآخر:

لو كنت أعلم أن آخر عهـ * * * دهم يوم الرحيل الأفعل

ولو مدّ الله لي في الأجل العلمي بتونس لنلتُ ما إليه أصبو، وأرغب، وإياه أسأل وأطلب، ولكنني:

أهمّ بأمر الحزم لو أستطيعه * * * وقد حيل بين العير والنزوان

وقديما قيل:

يريد المرْء أن يعطي مناه * * ويأبى الله إلاّ ما يريد

شيوخي في تونس،وأوّل اختبار: هذه هي فذلكة الدنيا بتونس، ولم يبق عليّ لك أيها القارئ إلاّ أن أبيّن لك أسماء الشيوخ الذين وقع اختياري على أيديهم، وبواسطتهم من أول سنة للدراسة بتونس حتى آخر سنة، وإليك البيان.

الاختبارات السنوية، فأول اختبار أُجْري عليّ في سنة الادعاء، كان على يدي الشيخيْن: الشيخ الحاج أحمد العياري والشيخ مُحَمَّد الحطّاب بوشناق، وفي السنة التي تليها أُجري اختباري على يدي الشيخين: الشيخ عثمان بن الخوجة، والشيخ مُحَمَّد المنستيري، وفي السنة التي تليها أُجري اختباري على يدي الشيخ عثمان بن الخوجة، والشيخ معاوية التميمي، وفي السنة التي تليها أُجري اختباري على يدي الشيخ مُحَمَّد الدامرجي، والشيخ عبد السلام التونسي وفي السنة التي بعدها أُجري اختباري على يدي الشيخ مُحَمَّد الحطاب بوشناق، والشيخ علي النيفر، وفي السنة التي بعدها، وهي سنة شهادة التطويع، أو الشهادة العالمية.

عباراتنا شتّى وحسنك واحدٌ * * وكلٌّ إلى ذاك الجمال يشير

في هذه السنة كان اختباري على يد لجنة علمية مؤلفة من الأساتذة : مُحَمَّد بن يوسف شيخ الإسلام الحنفي رحمه الله، والشيخ بالحسن النجار المفتي المالكي، والشيخ مُحَمَّد الزغواني، وكان الامتحان في هذه السنة ثلاثة أقسام: كتابة مقالة في الفقه بقسميه العبادات، أو المعاملات، وهو موضوع إنشائي، والثاني درسٌ يُلقى أمام لجنة الامتحان لا خيار فيه للطالب، والثالث عدّة أسئلة تُطرح على

الطالب من أساتذة لجنة الامتحان؛ كل أستاذ يسأل الطالب أسئلة من اقتراح الشيخ تقلّ، أو تكثر تصعب، أو تسهل.

ذلك كله موكول إلى السائل، فكانت نتيجة امتحاني بأقسامه الثلاثة أن تحصّلت على شهادة التطويع، وكانت نتيجة هذه الشهادة التي تأبطتها خروجي من حاضرة تونس قاصدًا قريتي قمار في صحراء سُوفْ، بلاد الرمال فكأنني آدم لمّا خرج من الجنة إلى الأرض دار الفتون كما قال الفرزدق، فكانت جنتي، فخرجت منها كآدم حين أخرجه الضرار.

تلك هي حياتي الدراسية في تونس أمليتها عليك من دون أن أترك منها وفي كنانتها عودًا إلاّ نثرته أمامك ونشرته بين يديك اللهم إلاّ توافه صغيرة، ونتفا حقيرة تركتها تعمّدًا لتفاهتها، أو سهوا لحقارتها. ومع هذا كله فلم يمتلئ حوضي من العلوم، والمعارف، ولم يقل قَطْني قط حتى أؤوب إلى بلدي راضيا عن نفسي، مشتاقا إلى بني جنسي، ولكنها المقادير تبرم حكمها على مقتضى حكمتها، لا على شهوات غيرها، فكنت كما شاءت هي لا كما شئتُ.

العودة من الغربة إلى التربة

أنا غادرت تونس حاملا معي التندّم والأسف على الماضي، ومفارقة الخضراء، متأبطا الخوف من المستقبل، وضآلة الأمل فيه، وفي أهل الصحراء غير أني لم أستسلم لهذا التشاؤم، فعلّلت نفسي في طريق الإيّاب إلى البلد بأني سأرجع إلى بلدي، فأخدمها، وأنشر فيها كل ما نلته وتلقيته من ثقافة، ودين، وعلم، وأدب كما خدمها غيري، وعمل لها سواي من الشيوخ القدماء، والمحدثين، وقلت ليس تعلمي إلاّ وسيلة لتعليمي، وما تعليمي إلاّ وسيلة إلى النهوض بالبلاد، وإثبات النبات الحسن من الشباب الصالح المصلح ، والنخبة المختارة، والزبدة والعصارة التي بهم تسير البلاد، وعليهم تعتمد، وما أنا إلاّ ابن من أبنائها، يجب عليّ لها ما يجب عليهم هذه هي التعلاّت والآمال التي كانت تجول في خاطري عندما كنت في قطار الإياب إلى سُوفْ، وما كنت أحسب أني تركت السرور في القصور لأزور الشرور في القبور، والذي غرّني بريقه، وأظلني طريقه هو ما رأيته على ملامح بعض الوجوه من أهل القرية قمار إبّان العطلات الصيفية عندما كنت أتردّد على البلاد، وأقضيها هناك بين الأهل والأصدقاء فيبرق لي خلال ذلك بارق الأمل، فيستفزّني إلى

متابعة العمل لأني أرى وجوها عليها مخيلات الطلب، وقلوبًا تتعطّش إلى التأدب، والأدب وعيونا توشك أن تعلّقني في أجفانها، وتضعني إنسانها، وكثيرا ما كنت أجعل دروسًا أسبوعية جمعيّة، وربّما كانت في بعض الأحيان اليومية، وربّما أبتدئ الكتاب من أوله، وأختمه في تلك العطلة الصيفية لطلبة في القرية يدّعون التعطّش إلى المعرفة، والتلهّف على العلم؛ ذلك هو القمر الذي غرّني، والسّراب الذي جرّني، فاعتمدت عليه، والتجأت في حُسْن الظنّ إليه حتى ألقيت عصا النوى، والاغتراب، وطرحت عنّي وعثاء السفر والاضطراب، وقلت:

فألقت عصاها واستقربت النوى * * كما قرّ عينا بالإياب المسافر

زواجي الأوّل: أقمت بين الأهل مدّة الضيافة العلمية في داري، وفي عُقْر بيتي لا أعرف أحدًا، ولا يعرفني أحدٌ ولا صلة بي وبين الناس إلاّ ما كان من سؤال ديني أو درس علمي، أو نقاشٍ باردٍ، أو تعنّتٍ بليدٍ جامدٍ حتى انتهت مدة الضيافة بين أبي وأمي؛ فخوطبت في الزواج، وطُولبتُ به فأجبتُ إلى ذلك بعد سبعة شهرٍ من رجوعي من تونس فكان الزفاف، وكان البناء يوم 22 ذي القعدة سنة 1353 هجرية، الموافق ليوم 16 فيفري سنة 1935 ميلادية.

وفي الحق أن الزواج أحد قيود المذلّة، ودرهم نصاب الإهانة، والشتاء؛ بل هو الذي يُنبت في القلب شجرة الخنوع، والخضوع المرّة،

وحشيشة العار والدمار، وحنظلة الركود، والجمود، ويقلع منه وردة الفحولة، وزهرة الرجولة؛ ولا أحسبه إلاّ ما قاله ابن الفارض في الحبّ ناصحًا، وواصفًا حين قال:

عش خاليا فالحب راحته عنا * * * وأوله سقم وآخره قتل

لكنه مع الأسف قيْدٌ لا بدّ منه، ودرهم لا مناص من اكتسابه، وحنظلة لا بدّ من التداوي بها كما يتداوى صاحب الخمر بالخمر وباب شقاء، وعناء يجب فتجده لا محيد عنه لمن يحترم عقله، ودينه، ويصون عرضه بين الناس؛ لذا ينتهي شهر العسل، أو على الأصحّ شهرا حتى أرسل إليّ والدي مع أحد أفراد الأسرة قولا، فقال لي: إني أديت واجبي نحوك، وقمت بأكثر من حقّك عليّ، فكبّرتك، وهذّبتك وكبّرتك، وزوّجتك وصنتك وأغنيتك عن الغير كل الغير، فلم أتركك لاحتياج، أو إهانة، أو مذلّة، أو إراقة ماء الوجه للغير طيلة حياتك حتى هذه الساعة، فآن الأوان أن تقوم أنت بواجبك نحو نفسك، وأهلك، ولوازمك، وتخفّف عني ما أثقلني منذ سنين طوالٍ؛ فمن الآن اعتمد على نفسك وتوكّل على الله، وابحث عن حركة تُعيلك، وحرفة تعيشك، ولا تكن كلاًّ علي أو على أحد من الناس، ففتش لك عما يُعيش أو يُريش، ولا تكن ريشة بين الريش، وشمّرْ عن ساق الجدّ، واخرجْ إلى الحياة فهي تطلبك، وابرزْ لها فإنها تحبّك وتريدك.

المعلّم كالمدّاح: طنّ في أذني فحوى هذه الكلمات، وحيّر صداها نائم الفكر، وغافل البال، وغافي الضمير، وكنت قبلها ممّن طُلب منه التعليم، فأبى لا كراهة في التعليم؛ بل كراهة فيما يحوم حوله من اتفاقات، وإهانات، وحالات مخزيات لا تبعث على احترامه، ولا تدعو لإكرامه؛ فالمعلم كالمدّاح عندما يقول لمن حوله « المدح لله وإلّي عطا شيء لله.»

فلا كرامة، ولا نظام، ولا تقدير، ولا احترام؛ فالقضية أولها نيّة وآخرها بركة دينية، وكلّ شيء سوى ذلك لا عبرة به عندهم؛ فلذلك أبيت أن أدسّ أنفي في تعليمٍ هذه حالته، والآن وبعد كلمة الوالد، وأمره الوارد وجب عليّ أن أدسّ أنفي في أخبث رغام، وأغمسه في حمأة الطّغام، وأزن بعد ذلك حسنا، لا تبيحا، وصوابا صحيحا:

يأتي على المرء في أيام محنته * * حتى يرى حسنًا ما ليس بالحسن

قلت أبيْتُ التعلّم لا كراهة فيه وزهدًا في تعاطيه، ولكن لِما حواليْه. إن التعليم الحرّ في البلاد الجزائرية، وربّما في حتى في سائر البلاد العربية أشبه بالشحاذة، والسؤال وذلك أنّ أجرة المعلم إنْ كانت له أجرة، أو شبه أجرة لا تسلط إلاّ على الفقراء، والبؤساء، والمساكين التعساء، ولا يقوم بها إلاّ أولئك الضعفاء الذين أغلبهم يعجز عن قوْت يومه إلاّ بمشقّة، وعناء، وقد يُلزمون بها إلزامًا لا خيار

لهم فيه، وأكثرهم يُعطي ما يعطيه حياء، أو رياء، ورهبة لا رغبة، وقد يكون ذلك بتكلّفٍ معه تصلّفٌ، وتقدّم في معنى تخلف، أو تزلّف، وقد وقع بين سمعي، وبصري من قديم ذلك، وحديثه ما لا أرتاب معه، ولا أشكّ فيه. ومن الأمثلة المحلّية على ذلك ما وقع للشيخ عمار بن الأزعر، وللشيخ عبد القادر الياجوري عندما كانا مدرّسيْن بقمار، ومحوري إصلاح فيها، وقطبي رحاها، أو سمائها في التعليم، والإصلاح فقد وقع لهما في قمار ما ينِدى له جبين الكرامة العلميّة؛ وكان ممّا كان ممّا لستُ أذكر، فظُنْ شرًّا، ولا تسألْ عن الخبر حتى هاجر الأول للمدينة المنوّرة، وهجر الثاني بلدته إلى غيرها من بلاد الله الواسعة، وحال كلٍّ منهما يقول:

فلو كان رمْحًا واحدًا لاتقيتُه *** ولكنه رمْحٌ وثانٍ وثالث

مُؤْلمات في التعليم الحرّ: كان تصوّر هذه المؤلمات ممّا يُعيفني عن قبول التعليم في بلاد الجزائر عامة، وفي سُوفْ خاصة، وكان رأيي في ذلك أنه يجب على الآمة في كل بلدة، أو قرية، أو مدينة، أو بادية أن تُنيط مسألة التعليم فيها وأعني التعليم العربي الحرّ، وأجرة المعلمين بجمعية محلية مؤلفة من الأغنياء، ولها نفوذها لدى الحكومة المحلية ؛ تلتزم هذه الجمعية بكل ما يلزم المدرسة من نظام، وتقدير، وتوقيت لهذه الأجرة ، وعدم تكليف المعلم بما لا يليق بكرامته.

وعندما تقوم هذه الجمعية بمثل هذه الواجبات نحو المدرسة، أو المدرس يكون لها الخيار في الأسلوب الذي تجمع به مالية المدرسة من أهل البلدة. هذا رأيي الذي أعتقده، وهو الذي نفذته يوم كنت معلما بقرية قمار، وبقرية كمبيطة بالقبائل الصغرى، وعملت به طيلة سنوات التعليم الأخيرة في قمار، وما زلت أعمل به حتى يُحدث الله بعد ذلك أمرًا، وهو حلمٌ لذيذٌ وخيال رائعٌ، وأمنية شريفة، ورأْيٌ صائبٌ عسى الأيام تحقّقه، وبعين العطف ترمقه.

قبلت أن أعمل في مدارس جمعية العلماء، فأرسلت إلى الشيخ مُحَمَّد بن خير الدين المراقب العام لجمعية العلماء إذ ذاك ببسكرة، وقد كان أرسل إليّ قبل اليوم يطلب مني أن أُعلّم بإحدى مدارس الجمعية ، أرسلت إليه أطلب التعليم، وأني على استعداد لذلك؛ فأرسل إليّ فورًا، وعلى جناح السرعة أن أقدمَ سريعًا فمدرسة بجاية تنتظرك، ثم أردف خطابا هاتفيا يحثني على السرعة، فأجبت بالقبول، وطلبت منه أن ينتظرني ثلاثة أيام، وهي أيام التشريق لعيد الأضحى، وبعدها سافرت إلى بسكرة قاصدًا بجاية، وذلك يوم 13 من ذي الحجة سنة 1353 هجرية بعدما أتممت عشرين يوما من ليلة الزفاف حتى ليلة السفر.

طريقي إلى التعليم في بجاية

شرعت في السفر إلى بجاية للتعليم، وقد كانت أول مرحلة في سفري مدينة بسكرة حيث أقمتُ بها يوما واحدا قابلت فيه مراقب الجمعية الشيخ مُحَمَّد بن خير الدين، وسلّم إليّ رسالة إلى الشيخ عبد الحميد بن باديس في قسنطينة ذكر له فيها قضية مدرسة بجاية، وتعلمها الجديد، ولمّا وصلت إلى قسنطينة وقابلت الشيخ عبد الحميد بن باديس، وسلّمت له الرسالة فأشار عليّ بانتظار الشيخ الفضيل الورتلاني معتمد الجمعية في بلاد القبائل؛ وكان متخفّيًا فانتظرته على اشمئزاز سبعة أيام في قسنطينة حتى قدم من بلدته بني ورتلان فسلمت إليه الرسالة من مراقب الجمعية مُحَمَّد بن خير الدين، فقرأها ثم أشار عليّ بالتوجه إلى الشيخ الهادي الزرّوقي مدير مدرسة الإصلاح ببجاية ،وذكر لي الورتلاني أني سأعلّم في قرية كمبيطة داخل بلاد القبائل لا في مدينة بجاية، فطلبت منه رسالة إلى الشيخ الزروقي، فأسعفني بها وتوجهت إلى بجاية عن طريق سطيف؛ ولمّا وصلت بجاية قابلت الشيخ الزرّوقي، وسلّمت له رسالة الشيخ الفضيل وبعد مفاوضات فيما جئت من أجله، ومناقشات كانت النتيجة أن أقيم ثلاثة أيام في ضيافته، ثم نذهب جميعا إلى القرية التي

سأُعلّم بها، وكذلك وقع؛ فلمّا انتهت أيام الضيافة امتطينا سيارة في طائفة من أهالي القرية المذكورة ومعنا الأستاذ الزرّوقي رئيس الجماعة وشيخ القرية مُحَمَّد آكلي، وسلكنا طريق وادي آميزور، ومررنا في طريقنا بالأستاذ بلقاسم الغسيري البسكري في برباشة معلمًا بمدرستها، وبعد ساعات وصلنا إلى القرية حيث محطّ الرحال، ونهاية الترحال، قرية كمبيطة صبيحة يوم 26 الخميس من ذي الحجة 1353 هجرية.

في طريقي إلى بجاية: قلت وصلت إلى قسنطينة فأقمت بها سبعة أيام قضيتها في نُزُل تونس ثم سافرت إلى بجاية، وفي طريقي مررتُ بمدينة شاطوأودان مرور البرق، فلم أر منها غير طريق الستارة الذي يحيط به البنيان، والدكاكين التجارية ثم مررنا بمدينة سطارنو، فاسترحنا بها لحظات، ولم نعلم عنها إلاّ ما علمناه عن شاطودان، شارع على جانبيْه عدّة دكاكين، وديار ومحلاّت تجارية حيث ينتقل المسافرون من سيارة قسنطينة إلى سيارة بجاية، فاغتنمت هذه الفرصة فأقمت بها يوما وليلة، فوجدتها من أجمل بلاد الجزائر، فالديار فيها مجاورة للحوانيت، والدكاكين فكان سوقا، وكلها حيٌّ وفيها جهة منفصلة عنها تُسمّى بالأفار، وهناك جهة ثالثة حديثة التأسيس وشوارع البلدة القديمة، أو السوق متقاطعة ومستقيمة ونظيفة شأن

الجديد من المدن، وتعرّفت فيها ببعض التجّار من السوافة، والتقيت فيها ببعض الزملاء من الطلبة كالشيخ رابح شينون، والشيخ البشير الريغي، ثم واصلت سيري فركبت سيارة أو حافلة باسكال، وهو اسم شركة مختصة بخط سطيف، بجاية، فمررنا في طريقنا بمكان يقال له «شعبة الآخرة» كله جبال شامخة، وأعلام شاهقة تخللها أودية عميقة، وأنقاب سحيقة تذكّر سالكها بالمون، والآخرة من وعورة مسالكها الصخرية، والتواءاتها الجبلية، وهي من جملة جبال القبائل الصغرى، على هي الأخرى من سلسلة الجبال القليلة التي تبدأ من أول السائل المغربي، وتنتهي عند زغوان من البلاد التونسية.

ومن شعبة الآخرة انتقلنا إلى بساط فسيح على ضفاف البحر المتوسط يبعث الحياة، ويذكّر بالبعث بعد الموت الذي ذكرتنا به شعبة الآخرة قبله، وواصلنا المسير حتى وصلنا إلى واد المرسى وهو قرية صغيرة يسكن فيها الحاكم الفرنسي لتلك الجهات الممتزجة .

وفي هذا الواد، أو القرية ركب في سيارة بجاية التي نقلتنا جماعةٌ من تلك الجهات فتعرّفت عنهم وتعرّفت بهم، فكانوا جماعة القرية التي عينت للتعليم فيها، وهي جماعة نجيبة فتذاكرنا ونحن في السيارة ما يجب أن نتذكر فيه من شؤون المدرسة حتى وصلنا إلى مدينة بجاية فوجدت الشيخ الهادي الزرّوقي مدير مدرسة بجاية شابًّا

لبيبا، أديبا نجيبا، أريبًا يقتصد ذكاءه أمام مخاطبه، فلا يدفعه دفعة واحدة، ولا يتركه في ضميره كله، ففيه حرارة، أو اندفاع الشباب، وفيه برودة أو تعقّل الدهّاة، وبذلك استطاع أن يقود حركة الإصلاح في بجاية، فهو مدير المدرسة، ومحاضر النادي، ورئيس شعبة العلماء في بجاية، ورئيس الشباب المسلم البجائي.

ثم استأنفت السير من بجاية إلى كامبيتة فمررنا بواد آميزور، ثم بقرية برباشة، ثم بقرية خليل، أو سيدي خليل؛ وعندما سرنا في الطريق المعبّد 45 كلم تركنا السيارة، وامتطينا البغال ونزلنا إلى الواد، وهو طريقنا إلى القرية فوجدناها مبنية على ضفتي وادٍ عميقٍ بين جبال شاهقة شاقا لها، سائرا إلى البحر، حيث يصبّ بمكان قريب من مدينة بجاية على مسافة 60 كلم ملتويا التواء الأفعوان بين منعرجات الجبال، إلى أن يصل إلى بسيط من الأرض، وفسيح من الساحل، وعندها يتقمّص اسم الوادي الكبير، وعلى ضفاف هذا هذا الواد أُسّست عدة مداشر، وقرى من قديم العصور منها واد أميزور برباشة، وخليل، وإيث خلفة، وهكذا تجد كل مداشر القبائل مبنية على ضفاف الأودية التي تخلل الجبال.

أمّا قرية كامبيتة فهي مجموعات سكنية صغيرة لا تزيد المجموعة الواحدة منها على عشر ديار، لا تنقص على ثلاث في الغالب،

والكثير وكل هذه المجموعات تقع تحت جبل في قمته مزارة تحتوي على بيت فيه قصاع، ومغارف، وأباريق، وتُترك هناك للتبرّك ويسمّى هذا الجبل بجبل " لالا تمقطوشت " وهو أعلى نقطة في تلك الجهات بحيث لا يصل إلى قمّته الواصل إلاّ بعد أربع ساعات كاملة، أو أكثر ويعتقد فيه أهالي تلك الجهات اعتقادات جاهلية شأن غيرهم من العوام.

أوّل درْسٍ في القبائل: وبعد الاستراحة الضرورية من تعب السفر، ونصب الركوب، وشرْب بعض المرطّبات اقترح عليّ الجماعة أن أُلقي درْسًا في المسجد يكون كتعريف بي، ودليل عليّ، وعنوان كتاب، ومفتاح باب من الأبواب، وكان من بين تلك الجماعة وأهالي القرية لفيفٌ من الطلبة الباديسيين، والمرابطين أمثال الشيخ يحي، والشيخ الشريف عثماني.

فاخترت أن يكون الدرس في كتاب الله، وأن يكون في فاتحة الكتاب للمناسبات الواضحة، وأردت أن يكون الدرس مختصرًا غير مثقل بالخلافات، والتحاليل كما أحببت أن يكون جديد الأسلوب، والتعبير، والتفهيم، والاستنتاج إلى غير ذلك ممّا يجب على المُجدّد أن يسلكه في دروسه؛ وفي أثناء ذلك الدرس وبعده وقّعت أسئلة بسيطة وقصيرة عرفت بها مكانة الطلبة ودرجة العامّة، وربّما عرفوني هم أيضًا

بها، أو ألقوها عليّ لزيادة المعرفة؛ ومن الغد وهو يوم الجمعة تسلّمت وظيفة الإمامة، والخطابة، بالمسجد الجامع لهم من يد الشيخ الطاهر، وهو شيخٌ أشيب قائمٌ لهم وفيهم بالإمامة، وتعليم القرآن لصبيان القرية وبحكم الاعتقاد السائد في الأوساط العامية أنّ « صاحب صنعتك غريمك»، اختفى مني هذا الشيخ الطاهر الإمام، فلم يظهر في جمعة، ولا جماعة، ولا اجتماع، ولا درس، ولا مناقشة؛ ومع ذلك فقد عملت على احترامه غيابيا، وشكره على قيامه بوظائفه الدينية.

بين يدي الحاكم العسكري: وكانت الخطبة في هذه الجمعة على غرار الدرس في الفحوى، والمضمون، وكانت كذلك الخُطب، والدروس بعدها مدّة إقامتي في القرية، ودمنا كذلك أيّاما وأسابيع، نحمد الله ونشكره، ونسبح بحمده ونذكره حتى طلع علينا بومٌ من وراء جدران الحكومة بنعيبه المشؤوم فنادى عليّ بصوته المُوحش يوم 22 أفريل سنة 1935ميلادية، بأن حاكم الدائرة الممتزجة في هذه الجهات الملقب عندهم بالمستراتور يطلبك، فذهبت إليه صحبة شيخ القرية السيد مُحَمَّد كلي، ورئيس مجلسها البلدي« البريزيدان» السيد السعيد ذهبنا إليه في واد المرسى حيث محلّ حكمه، وإقامته فلم نجده، فقيل لنا إنه متغيّب الآن؛ والله العليم بدسائس السياسة فترددنا عليه أياما بعينها لنا خليفته في الحكم إعناتا لنا، وتنكيلا بنا، وإهانة لشرفنا، وفي

يوم 01 ماي من تلك السنة وقعت أول مقابلة بيني، وبين الحاكم المذكور، فلم يزد على أنْ قال: من أنت ؟ ومن أين أقبلت ؟ وهل عندك جواز سفر إلى هذه المنطقة ؟ وكم لك هنا معلما ؟

فأجبت عن الأسئلة الأربعة بما يجب أن أجيب به أمثاله، فكان آخر كلامه أنْ أمر أحد أذنابه بأن يقودني إلى السجن مع أصحاب الجرائم، فكان الأمر كما أمر، وزُجّ بي في السجن جاني مجرما، وجنايتي عنده وعند أمثاله ديني الصحيح، وإرشاد الناس إليه، ووعظي إياهم بما أنشره فيهم من تنوير عقول، وتثقيف أفكار. دخلت السجن وذهب شيخ القرية مُحَمَّد آكلي، ورئيس الدوار الشيخ السعيد إلى بجاية بعد أوصيا بي جميع الدوائر، والعسس، والمستخدمين خيرا، فقام كل واح منهم بالوصيّة خير قيام، فجزاهم الله عني أحسن الجزاء، وشكر سعيهم.

ذهب الشيخ والرئيس إلى بجاية كما قلت لك، ووكّلا وكيلا للدفاع عني بعد استشارة الشيخ الهادي الزرّوقي، وعزما على تطويل حبل الشكاية وفتح باب الشكوى لي المراجع العليا، وتوسيع الدائرة حتى النهاية. شكر الله سعْي الجميع.

حياتي في السجن: كانت بفضل مستخدمي الإدارة وموظفي الدائرة من المسلمين أهالي تلك الجهة، وبفضل الوصية التي أوصى بها

شيخ القرية ورئيسها عمدة الدائرة، كانت حالتي عندهم حالة ضيف مُكرّم، عزيز محترم، فكل واحد من أولئك الخَدَمة قام معي بما يشكره الله له، فهذا بالتسلية، وتخفيف الآلام، وهذا بتأسفه الشديد، وذلك بلعنة الظلم والظالمين، والآخر بتطوّعه ليقوم مقامي في الخدمة الازمة إنْ لزمت، وكلٌّ يُوصي الآخرين خيرًا، فلم أشعر بشيء ممّا يقال له عذابٌ، وتعذيب، وإهانة وشقاء؛ بل كنت أُعلم في السجن، وأُوصي بأولئك العمال، أو ببعضهم في بعض الأحيان.

وكانت محادثتي كلها معهم حول العلم والتعليم، والوعظ والإرشاد لِمَا وجدته من الاستعداد والقبول في أولئك العمال والمستخدمين، وقد تحقّقوا كم تحقّقت أنا أنّ أعظم الجنايات عند هؤلاء الظلمة الطغاة أن يكون المسلم مسلما صحيح الإسلام يرشد بني جنسه، وينفض عنهم غبار الجهل وتراب المهانة، وينشر بينهم أخلاق الإسلام، وعقائده الصحيحة. بقيت في السجن خمسة أيام كأنها أثغاث أحلام، أو لذيذ منام فلم أشعر فيها بما يشعر به السجناء من عذاب وعناء.

طلع يوم 06 ماي يوم الأحد عليّ وأنا في السجن، فنُوديت لمقابلة الحاكم فذهبت إليه، فقال لي إني أمنعك أن تعلم في هذه المنطقة التي تحت نفوذي أربع نواحي كل ناحية عليها " قايد"، وبما

أن لك جواز سفر وما زالت مدته لم تنقض، فلا يحقّ لي أن أمنعك من وجودك في القرية التي أنت فيها، وكتب ما قاله على بطاقة جواز السفر، ثم أمرني بالانصراف إلى حيث أشاء فانصرفت إلى محطة السيارة في قرية واد المرسى حيث امتطيت سيارة إلى بجاية، وفي لَمْح البصر وصلت السيارة إليها فنزلت وذهبت إلى جهة الخميس، وهي جهة قرْب البحر حيث محطة سيارات قرية كامبيتة، فامتطيت سيارة إلى القرية المذكورة، وفي طريقي إليها التقيت بجماعة من أهلها القادمين إلى بجاية ليطلعوا على نتيجة الشكوى، والتكرار لزيادة البحث والتنقيب عن قضيتي، ولتوكيل وكيل ثانٍ للدفاع، وذكروا لي أنهم في قلقٍ مستمرٍ منذ دخلت أنا السجن حتى الآن مترددين بين بجاية، والقرية لالتقاط الأخبار، وتتبّع الآثار؛ الآن الآن والحمد لله فقد استراح البال، وتحسّنت الأحوال حيث منّ الله بالسراح، وعجّل بالرواح، وقد بدت على وجوههم ملامح الفرح والسرور، وعادوا معي إلى القرية في سرور وحبور.

وعندما وصلنا إليها، أو كدنا أسرع البشير بالبشرى فاستقبلنا أهل القرية كلهم في حالة من الفرح لا تُوصف حامدين الله تعالى شاكرين متأسفين لِما نالني فقلت لهم إن الذي يُؤسف هو أني مُنعت من التعليم في بلادكم، ومنطقتكم كلها، ومن الوعظ والإرشاد

بدياركم منذ اليوم، وحيث كان الأمر كذلك، ولا مناص منه الآن، ولا سبيل إلى حلّ مشكله في هذه الأوقات، ولا أستطيع أن أكون كلاًّ عليكم، وعندكم من دون أيّ عملٍ تستفيدونه مني، فحيث كان الأمر كذلك، فلا بدّ لي من الإيّاب إلى الصحراء، واللحاق بالأهل حيث لا فائدة في البقاء.

ولمّا سمعوا ذاك سقط في أيديهم، ورأوا أنهم قد ضلّوا فسكتوا هنيهة ثم أفاقوا من غفوتهم وانتبهوا من دهشتهم وقالوا يجب أن نعمل لفكّ هذا اللغز، وتحطيم هذا القيد بكل وسيلة سواء مع حاكم المنطقة، أو مع المحاكم الأخرى، وعزموا على ذلك وصمموا ووعدوني بذلك، وأخذوا عليّ مواثيق، وعهدوا على أن أرجع إليهم متى وُفقوا إلى حلّ القضية، ورجعت الحياة إلى مجاريها، وأقر الخصم، وارتفع النزاع. فوعدتهم أنا الآخر بالوفاء والرجوع ما لم تمنع موانع قاهرة وضرورات ظاهرة، وافترقنا على هذه المواثيق والعهود مني ومنهم.

وأبتُّ إلى قمار منتظرا منهم كلمة الإنجاز، ونتيجة السعي، وإشارة الأمر بالقدوم، والعودة؛ والقوم كما عهدتهم رجال، وأي" رجال، فما تمّ لي بوطن سُوفْ شهرٌ حتى أرسلوا إليّ رسالة يخبرونني فيها بأنهم سعوا كل سعْيٍ لأن أكون أنا معلمهم، وواعظهم الرسمي، وبإذنٍ من حكّام الناحية؛ وما عليّ إلاّ أن آتي إليهم واعدًا وراجيا

منهم أن ينتظرونني شهرا آخر لأقابل في صهري مُحَمَّد الحفناوي بن سي الأخضر، ومهنئا له بتحصيله على شهادة التحصيل عندما يقدم إلى قمار في العطلة الصيفية، فقبلوا وانتظرت الشيخ وجاء واجتمعنا في قمار أسبوعًا كاملاً ثم ودعته، وسافرت إلى حيث ينتظرني تلامذتي، وأحبّائي الأقدمون، وطويتُ الطريق إلى القرية فوصلتها فوجدت القوم في انتظاري، وقد فرحوا بلقائي القديم، وعدنا إلى ما كنّا ابتدأناه من نظام، وترتيب، ودروسٍ، وخطابة، ووعظ، وإرشاد من دون أن نخشى أحدا ممّنْ كنا نخشاه.

هجوم الشتاء: وما دمنا كذلك في ارتباط واغتباط إلى أن هجم علينا البرد بخيله، ورَجْله، وسال لجنوده الوادي، وفرّق بجيوشه محتشد النادي، مرسلا من سيده الشتاء ملك الفصول الجبّار من دون إشعار، ولا إنذار، فلا أرض إلاّ الثلوج، ولا سماء إلاّ الغيوم، ولا تراب إلاّ الأوحال، ولا شمس إلاّ البروق، وحلّت الوحشة مكان الأنس، ووضع التوجّع موضع الدرس، وأحسست بالعجز والألم، والضعف عن العمل، ولازمتني الحُمّى الدائمة حتى لم أجد القوة الكافية للقيام ببعض الواجب الذي كنت أقوم به، فخفت على نفسي من زيادة الأمراض فاعتذرت للجماعة بأني عجزت عن مهمّتي التي جئت من

أجلها، ولا أستطيع المكوث في أرضٍ هذا أول قَطْرها ، ثم بعد أيام تنهمر أنواع الحميات، وأنواع الأوبئة.

وعزمت على مغادرة القرية كيفما كان الحال، مغادرة لا رجوع بعدها، مع الأسف العميق على مفارقة أولئك الرجال، إذ لا يستطيع مثلي من أبناء الصحراء أن يقيم في مثل تلك القرية الجبلية المُوحشة؛ اللهم إلاّ في أيام الصيف حين تشتدّ حمّارة القيظ، ويشتعل تراب الرمضاء في واحات الصحراء.

لوّحتُ للقوم بمثل هذه العبارات، وربّما صرّحت لهم ببعضها، وذكرت لهم عزمي على الرحلة، وبعد مفاوضات، ومشادات، وإلحاحٍ وإلحاف مني ومنهم؛ وبعد تنازلات منهم إرضاء لي، وترغيبًا في البقاء فيهم اعتذرت لهم عن عدم البقاء مع شكري إيّاهم عن الحفاوة التي قدّموها إليّ من أوّل يوم زرتهم فيه حتى آخر ساعة فارقتهم فيها شكرا لا أنساه، ولا أفتر عنه ما امتدّ بي حبل الأجل في هذه الدنيا؛ لأني والحقّ يقال لم أجد في أهلي، ولا في غير أهلي ما وجدته فيهم من احتفاء، واحتفال بي وإكرام، واحترام لي؛ فإن سألت كانوا الجواب، وإنْ دعوت كانوا الغوث وإن قلت وعوا، وإنْ أمرت أطاعوا واستمعوا فلولا ضرورة الشتاء، وما يجلب معه من وصب، ونصب لأقمت فيهم إقامة جبالهم، ولكنت من جملة رجالهم، فبهم يفتخر

الفاخر، وبهم يلتحق بأولهم الآخر. الله وحده الجازي والكافي، وهو سبحانه المُجزل والمكافئ. أقمتُ فيهم ما يقرب من ستة أشهر كنت فيها بينهم مثال النصح، والأدب، ورمز السيرة الحسنة والأخلاق الفاضلة، والعمل الدائب؛ وبالجملة فقد أرضيتُ الله، والضمير سرًّا وعلانية، ولم آتهم موظفًا؛ بل جئتهم عاملا، وتركت فيهم ثروة ثقافية، وطلبة يحسنون العربية على قِصَر المدة وضآلة العُدّة.

نتيجة هذه الرحلة: إنّ رحلتي إلى بلاد القبائل وخروجي من سُوفْ مستصحبًا معي تجاربي الأولى، اكتسبت منها الكثير من الفوائد التجريبية الصحيحة الثابتة، واطلعت فيها على الوجه الحقيقي لمستقبلي العابس، أو الباسم الذي سأتقمّصه وألتحف به طيلة حياتي، فهذه الرحلة هي العنوان الصحيح له؛ علمت فيها أن حياة الناس الاجتماعية معشوشة بهذه الحياة العلمية، وأنها بابٌ لميدان المعركة المعاشية الملتحقة بالحركة التعليمية؛ بل هي فاتحة الطلب لأسباب النصب، والوصب، وأنّ منْ يريد أن يتصدّى لهذه الحياة يجب أن يكون فارسًا شجاعًا، متسلحًا بعدّة أنواع من الأسلحة الانتحارية، أو الدفاعية؛ وإلاّ انهزم أمامها انهزام الجبان في الميدان.

أمّا أنا فلمّا كشفتُ عن وجهها النّقاب وفتكت عن سترها الحجاب رمتني بحربة مسمومة ماتت لي بها آمال، وتولدت منها آلام

، فصرت بعد موت تلك وولادة هذه كرة بين صوالجة، وآلة لكل محرّك ، ولعبة في يد كل صبي، وريشة في مهبّ الريح؛ فعلمت أنْ لا طاقة لي بمصارعة منْ أصارع، ولا قدرة لي على مدافعة ما أدافع فسلّمت، واستسلمت، وسكتُّ وما تكلّمتُ وعدت أدراجي في الظلام بعد ما تحققت حقيقة الأنام.

في مسقط الرأس

قلت إني عزمت على مغادرة تلك البلاد إلى أرض الرمال، وقد نفّذت هذا العزم وسافرت فوصلت قمار، وألقيت فيها عصا التسيار،، واستقرّ بي النوى، واسترحت من نصب الاغتراب، وقرّت عيني بغنيمة الإيّاب، ولكن مع كل أسفٍ في مسقط هذا الرأس ما خدّر الحواس وكدّر الإحساس:

رُبّ يومٍ بكيتُ منه فلمّا * * * صرتُ في غيره بكيتُ عليه

فما اطمأنت بي أرض هذا البيت حتى تذكّرت الخبز والزيت، وتفكّرت كلمة الوالد التي جشمتني ما رأيت، وحمّلتني ما سمعت، ووعيت فتحوّلت حركة السرطان لأقبل الوقت المشؤوم، ولأنسى بعض تلك الهموم، فباشرت فلاحة الأرض، ونقْل التراب فوق الدّواب، والحراثة والسقي، وكل ما يتعلّق بفلاحة النخيل؛ لكن بلا جدوى، ومن دون طائل بقيت كذلك طيلة سنة كاملة مع الأمراض، والآلام، ومع الأعمال الترابية، والأحلام، ومع الدروس لبعض الطلبة والعوام انتظارًا لكشف الغُمّة وانفراج الأزمة.

عملي أجيراً عند صهري: حتى عقدت عقدة إجازة مع صهري السيد الأخضر بن مبارك في بسكرة على أن يتكفّل بنفقتي اليومية،

وبمائة فرنك للشهر الواحد، وعلى ذلك سافرت آخر الصيف من سنة 1936 ميلادية إلى بسكرة أجيرًا عاملاً إلى شهر مارس من سنة 1937 ميلاديةُ ثم عدت إلى قمار، وأقمت بها ستة وعشرين يوما، ثمّ رجعت إلى بسكرة لمباشرة عملي، وبقيت كذلك إلى فصل الخريف من تلك السنة، فجدّدت معه العقد بمناسبة موسم التمر، فزادني خمسين فرنكا للشهر إلى نهاية الموسم، ثم جدّدت العقد على أن أكون شريكا له في الربع، والفائدة التي أتحصّل عليها من بيع الجرائد، أو أجرة الوزن لخضرة الفلاحين القبائل.

ودمت كذلك إلى أن وقعت حوادث سوف، أو قبلها بشهر ونصف حيث غادر قمار الشيخ عبد القادر الياجوري الذي كان معلما بها منذ سنوات، ولم يجدْ في أهلها خيرًا، فغادرها إلى زاوية الشيخ عبد العزيز بن الشيخ الهاشمي باعميش بحوالي 30 كلم من جهة الجنوب، حيث أراد الشيخ عبد العزيز أن يؤسس معهدا تحت إشراف الشيخ الياجوري، وغيره من أساتذة زيتونيين ليعلّموا بالمعهد المذكور.

ترك الشيخ قمار، وتعليم قمار، وإمامة قمار، وحركة قمار إلى البحث عن المعاش، فبقي أهل قمار من دون إمام، ومن دون مدرّس، وقائد إصلاح فأرسل إليّ وأنا في بسكرة جماعة من شباب

قمار يطلبون مني أن آتي إلى قمار، وأقوم مقام الشيخ الياجوري في الإمامة، وفي التدريس في المسجد، والتعليم في المدرسة فتريّثتُ قليلا ثم أجبتهم بالإيجاب على شروط يلتزمونها، وبعد الاتفاق الذي سبقته مداولات، خاطبي صهري السيد الأخضر بن مبارك في الموضوع، وقلت له إن القضية قضية واجب عام للصالح العام أكثر منها طلب معاش أحسن، وفائدة أكثر، وعليه أن يبحث من الآن عمّنْ يحلّ محلّي في حانوته فامتعض من ذلك، ونصحني بالإقامة في الحانوت، وترك قمار لأهل قمار لأنهم لا يُوفون بالعهود، ولا ينجزون الوعود، حسبك ما وقع لغيرك معهم إلى غير ذلك من النصائح المجانية؛ الرجل سامحه الله يُسرّ حسوًّا في ارتغاء، ويتدبّر أمرًا في اختفاء؛ وبما أني أعلم أنّ عملي معه لا يشرّفني، تركت سبيله، وتجنّبت مسيله، وأجبت الجماعة، وابتعدت عن السيد النصوح، والبضاعة.

ومنذ ذلك الحين أخذت مراجل الرجل تغلي حقْدًا، وتتميّز غيظا عليّ ، ونصب لي العداء، وأنّب عليّ كل الأعداء؛ ولكن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وقد حاولت معالجة دائه القلبي ومرضه الباطني بعدّة وسائل لأسلّ سلّة من بين أضلاعه، وأنزع من صدره بعض أوجاعه، فلم أنجحْ واعتصمت بالله، فصمتُ عُرى سواه.

مغادرة بسكرة،والتدريس بقمار: غادرت بسكرة إلى قمار يوم 14 من المحرّم سنة 1357 هجرية الموافق ليوم 12 مارس سنة 1938 ميلادية حسْب الاتفاق الذي وقع بيننا مكاتبة، وشرعت في الخطابة بالمسجد الكبير، والإمامة به، والتعليم بالمدرسة، وحللتُ محلّ الشيخ عبد القادر الياجوري في كل ما كان يقوم به من تعليم، وتثقيف ابتداء من يوم 20 المحرّم المذكور من السنة المذكورة الموافق ليوم 18 من الشهر والسنة المذكوريْن.

وارتأيت أن يكون ترتيب عملي كما يلي: تفسير القرآن بكتاب الجلاليْن بمعونة تفسير المنار ليلة الأحد، وليلة الإثنين، والأحاديث النبوية بكتاب صحيح البخاري بمعونة شرح القسطلاني ليلة الثلاثاء وليلة الأربعاء، وفقه مالك بجواهر الإكليل نظم مختصر الشيخ خليل للشيخ خليفة بن حسن القماري بمعونة شرح الدردير للمختصر المذكور ليلة الخميس، وليلة الجمعة، ورأيت أن أستعين في درس الفقه بنيْل الأوطار وسُبُل السلام حتى تؤخذ المسألة الفقهية بدليلها، أو منبعها المأخوذة منه، وللتدليل عليها؛ هذا بالنسبة لدروس العامة في جامع السوق، أو الجامع الكبير كما يسمّيه البعض. أمّا بالنسبة للتعليم المدرسي فهو كما يلي: السنة الأولى يُعلّم فيها مبادئ الحروف أيام السبت والأحد والإثنين والثلاثاء، ويُعلّم

فيها الأناشيد المدرسية صبيحة يوم الأربعاء، ومراجعة عامة مساء يوم الأربعاء، ويوم الخميس مبادئ حسابية؛ ولمّا لم يكن في المدرسة إلاّ طبقة واحدة اقتصرْتُ على هذا البرنامج، وربّما تغيرت بعض فقراته لأسباب ودواعٍ تقتضيها ظروف الوقت.

وارتأيت أن يكون إنشاء خطبتي الجمعة من نفثات يراعى كدرس علمٍ في الوعظ والإرشاد له وقْعه، واتصاله بقلوب الحاضرين فجعلت أُولى الخطبتيْن مختصة بتاريخ الإسلام الذي ابتدأته بحياة الرسول عليه الصلاة والسلام، وجعلت الخطبة الثانية فيما يناسب أحوال تلك البلدة ترغيبا وترهيبا، ويوافق مزاجها تأديبا وتهذيبا فهي دائما تدور بين التخلّي والتحلّي بأسلوب مطابق للحاضر، ومطبق عليه.

حوادث سُوفْ: دمتُ كذلك ما يناهز الشهر الواحد مع اشتياق من الجانبيْن وولوع من الطرفيْن؛ فإذا بحوادث سُوفْ المعروفة تهاجمنا في عقْر دارنا، وإذا بالقوانين الزجرية تطلّ علينا من النوافذ والأبواب، وإذا بحركة الدروس تسكن جبْرًا وإذا بالإصلاح يموت قهْرًا.

كل ذلك وقع يوم 17 صفر من سنة 1357هـ ، الموافق ليوم 18 أفريل من 1938م، فسكن كل شيء إلاّ من البكاء، والعويل والتضجّر من هذا العضو العليل والدّاء الوبيل، والعدوّ الدخيل وبعد

هذا السكوت وذلك السكون قامت أسرابٌ من بوم الشوم، وأغربة الخراب وجِمال البين، ونياق التفرّق تولول على نغمات الاستبداد، وتغني على مزامير الاستعباد تأكل من لحوم الإخوة الميتة الحيّة، وتشرب حتى الثمالة من كؤوس العبودية ويومئذ تمثّلتُ وقلتُ في نفسي:

بعدما تقمّصتُ رمسي * * * أريد حياته ويريد قتْلي

عذيرك من خليلك من مراد

وعندئذ تفرّقت الغنم على صيحات الظلم والألم ، وتباعدت عن المرتع والمربع فسلّط الله عليها الذئب والضبع، فهلكت ولن يغيّر الله ما بقوم حتى يغيروا ما أنفسهم، وسلّط عليهم منْ يرى عزّه في إذلالهم ومجده في قتالهم، والحزم في إهانتهم، وحياته في موتهم حتى استمرأ القوم ذلك من مستعبدهم فاستساغوه وألفوه، فكان لهم عادة قديمة تمادت عليها الآباء، وتقفّت على آثارها الأبناء فهم شيوخ فيها عظام؛ وماهم بالشيوخ العظام والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يُوارى في ثرى رمسه. نعم غرُبت شمس الإصلاح عن هذه البطاح، ودخل ليل الكفاح والنطاح تحت جنحه بلا جناح، وفي انتظار شمس الغد التي ستظلّ على هذه الآكام بعد اندحار هذا الظلام.

دخلت كُـــنّي: واشتغلت بفني مرتديا رداء الوحدة مؤتزرا بإزار الوحشة إلاّ من تزاوُر بعض الإخوان مستفتين، أو مسلّمين أو مؤنسين، أو متأنسين وفي أكثر الأحيان أفتح الكتاب للمطالعة والمراجعة، أو أفتح الكراس للكتابة والتسجيل، فإذا مللتُ من القراءة والكتابة ملتُ إلى الرّمل وتحصّلت عذابه، وربّما مزّقت ما كتبت، وسجلت، وفرّقت ما جمعت ونقلت لاضطراب الفكر، واختلال العقل لتبعات عائلية قاهرة، ومسؤوليات عامة لا طاقة لي بتنفيذها أو تسديدها ولا بالهروب منها، أو التغيّب عنها فأنا يومئذ في سجن مضيق، أو في قبر مغلق، وكنت أحسب نفسي أني شيء في لا شيء، أو لا شيء في شيء، وكانت دهنات وهنات أكلن اللحم، وحززن العظم، وقد كتمتها عن كل حيٍّ من أهل الحيّ حتى لا يشمت الشامتون؛ وما أكثرهم، أو يبعد المتقرّبون وما أقلهم.

وتجدي للشامتين أريهم * * * أني لريب الدهر لا أتضعضع

اشتغالي بالتجارة: وبعدئذ استيقظت من غفوة الحيرة وانتبهت من غفلة الأنانية وتذكّرت كلمة الوالد، وهي محلّ الشاهد فالتمستُ من بعض الإخوان أن يسلفني شيئا من المال لأعمل فيع لعلي أكتسب منه قوْت العائلة، فأسعفني هذا الأخ الصديق بالإعانة على وجه القراض في البعض، والسلف في البعض، فسافرت توًّا إلى

خنشلة، وأتيت ببضاعة مزجاة إلى قمار، وفتحت دكانًا وضعت فيه تلك البضاعة وشرعت في البيع، والشراء وكان هذا الدكان في السوق بطبيعة الحال.

"قائد القرية" يهدّدني: فما راعني إلاّ وكلاب إدارة الحكومة بالقرية تتردّد عليّ تأمرني بالذهاب إلى مكتب" القائد" فأذهب فيحذرني القائد ويهددني، وربّما أمرني بإغلاق الدكان بدعوى أني أجمع فيه الناس، وأتعاطى فيه السياسة؛ وفي بعض الأحيان يظهر لي نصيحة، وأنه دافع عني عند حاكم المنطقة بالوادي، وتارات يبلّغ لي رسالة الحاكم التي كلها تقريع، وتهديد لي على جماعتي التي أتعامل معها تجاريا« والحرب العالمية الثانية قائمة على قدمٍ وساقٍ».

وكثيرا ما يصمني بأني مجرم، ومن أكبر المجرمين عند الحكومة، وعليه فلا سبيل لترك أهل البلدة يجتمعون بك في أيّ محلٍ ولو في دكان البيع والشراء لأجل الاتجار، وهكذا مرّت أيام وأنا مع " القائد" في أشدّ احتدام، واصطدام والتراشق بسهام الكلام في حمأة الخصام والملام؛ فقلت له: ما هو ذنبي؟ فقال: فتحت محلا تجاريا تتمعّش منه. فقلت: فما هي جنايتي ؟ فقال: دخول الناس إلى دكانك، وتعاملهم معك . فقلت: فما هي جريمتي ؟ فقال: أن تجتمع بالناس وتتحدث معهم. فقلت: فكيف أصنع إذن ؟ فقال: اغلق

المحل، واذهب إلى دارك، واعتزل الناس فأنت عند الحكومة تعتبر من المساجين في بيوتهم، ولا فرْق بينك وبين زملائك الياجوري، واخرنْ، وابن الهاشمي الذين هم الآن في سجن الكدية بقسنطينة، وإذا لم تمتثل للأوامر ألحقناك بإخوانك هناك، واعلمْ أن الحكومة تعتبر كل طالب زيتوني عدوًّا لها وحامل سلاحٍ ضدّها، وتعتبر كل من جالسه، أو خاطبه، أو عامله أو رافقه عدوًّا أيضا لا ثقة فيه، ولا هدنة معه؛ ثم بثّ القائد هذه العبارات ونشرها بواسطة أذنابه وكلابه في أهالي القرية، ولا سيما بين المصلحين، أو الذين سمّوا أنفسهم كذلك ففرّ كلهم من حولي فرار الصحيح من الأجرب، فبقيت أياما أفتح الدكان فلا يدخله أو يزورني فيه أحدٌ منهم؛ بل كان أكثرهم يتحاشى مقابلتي، أو مكالمتي حتى في الشوارع، أو في السوق مخافة أن تلحقه الأذية، وتصيبه من أجلي البلية ويعتذر لي الكثير سرًّا، أو مراسلة ويذكرون في الاعتذار ما سمعوه من " القائد" ، وأعوانه من الملاحقة والمطاردة لهم، وهناك تمثلت بقول القائل:

أصبحت فيكم غريب الشكل، مبتدعًا

كأنـــني مصحف في بيت زنـــــديق

فما وسعني والحالة كما سمعت إلاّ أن أغلق الدكّان بعد ما قضيت فيه سنة كاملة كلها صراع عنيف بيني وبين إدارة المنطقة لا

لشيء اجْترمته، ولا لذنب اجترحْته؛ ولكن لأجل الإهانة والإذلال، وإسكات صوت الحق في هذه الرحال، فصبرت وصبرت ثم خرجت وسلّمت المفتاح لصاحب الدكان لا عن رغبة ورضا، ولكن تنفيذ الحكم القضاء، وأنشدت :

يريد المرء أن يُعطي مُناه * * ويأبى الله إلاّ ما يريد

وأعلمني " القائد" باسم حاكم المنطقة وزيادة على ما سبق منه من تهديد، ووعيد بأني المسؤول الوحيد عن كل ما يقع من تشويش وتحريش في هذه القرية وأن عيون الحكومة لك بالمرصاد لا تنام عنك ليل نهار؛ وعيون الحكومة عندنا كل أفّاكٍ أثيم، وعُتل زنيم يخترع التهمة، والعلّة ويزيد على الطين بلّة:

لي حيـــلة فيمن يـنمّ * * * وليس في الكذاب حيلة

منْ كان يخلق ما يقول * * * فحيلـــــــتي فيه قليلة

اجتمعت عليّ ثلاثة عوامل: شرّ الحكومة، وأوباش البلدة وافتراءاتها، وضعفاء العقول من أهل الإصلاح، وتخاذلهم فيما بينهم، فقلت:

فلو كان رمْحٌ واحد لاتقيته *** ولكنه رمح وثان وثالث

إذا كتب كاتب في جريدة البصائر ولو كان الكاتب من بنزرت في البلاد التونسية، كتب في الطريقة التجانية مثلاً، ولو كان اسمه

تحت مقاله لا بدّ أن يكون الكاتب أنا في نظرهم ، وإذا تكلّم مصلح في بلدة الرقيبة مثلا فلا شك عندهم أني أنا الذي لقنته وإذا ظهر منشور في القرية فلا جرم أني الموزّع له، وإذا طلع علينا عدد من مجلة الشهاب يحمل مقالا لا يُرضي الحكومة، فأنا الذي جلبت العدد.

وهكذا حتى ذقت ذرعًا بوجودي بين أهالي هذه القرية، واضطررت إلى العزلة في البيت الفارغ من الخبز، والزيت، وعدتُ إلى التراب وحمله، وإلى الكاف ورمله فاتخذت مكان الخلوة هوْد أميه صالح، واعتزلت كل طالح من القرية وصالح فرارًا من الشر، وتفكيرا في الخير، ولم أزرْ البلدة إلا لِمامًا، وبعد حين.

سنة خلوة: قضيت كذلك في خلوتي ما يزيد على سنة وأنا أفكر في علّتي ودائي، فكيف أتصرّف مع هؤلاء وهؤلاء وكثيرا ما كنت أزور الأخ الصديق، والصهر الرفيق ويزورني، وهو الوحيد بعد الوالديْن الذي يهمّه أمري، ويهتمّ له ويتألم لبؤسي ويغتمّ له؛ وكثيرا ما يقترح علي الاقتراحات المفيدة، والآراء السديدة؛ بل تحمّل أن يكون غرضًا لترتيب سنواتها الأولى، فالأولى حسب الإمكان، وعلى قدْر معطيات الزمان.

تلخيص بعض الحوادث الخاصة: في عام 1943م وقعت شركة ثلاثية بيني وبين الشيخ الحفناوي هالي، ولعيس مُحَّد بن العزوزي في

خرْص التمر، ودامت من أكتوبر 1943م إلى جانفي 1944م، وقد ربحت ونجحت، وفي يوم 21 ربيع الثاني 1357هـ الموافق لبوم 20 اجوان 1938م بعثت جماعة الإصلاح بقمار إلى حاكم الدائرة بالوادي عريضة موقّعة من طرفهم يطلبون منه أن يجعل حدًّا لظلم " القائد" والطرقيين، وقد كلفوني بكتابة تلك العريضة ولم تُسمع شكواهم؛ بل بقيت دار لقمان حلى حالها، وفي تلك السنة 27 صفر 1357 هجرية الموافق 28 / 5 / 1938م، وقّعت مراسلة بيني وبين الشيخ ابن باديس وصفت له فيها حالة قمار الثقافية، وسير التعليم والأثر الذي تركته مغادرة الشيخ الياجوري قمار إلى اعميش، وفي تلك السنة 13 ربيع الثاني1357هـ بعثت رسالة باسم جماعة الإصلاح بقمار إلى الشيخ ابن باديس في شأن أسرة الشيخ الياجوري بعد القبض عليه وسجنه، قلت للشيخ ابن باديس: إن الأسرة مكتفية، وفي غير حاجة إلى معونة خارجية، فأهل البلدة قائمون بالأسرة، ووصفت له فيها أيضا حالة البلدة أثناء حوادث سُوفْ والقبض على الشيوخ بمعهد اعميش.

وفي يوم 17 أكتوبر 1940م الموافق ليوم 15 رمضان 1359 هجرية قدمت بالعائلة إلى بسكرة للعمل مع سي الأخضر بن مبارك في دكانه بمناسبة موسم التمر، وفي سنة 1939م يوم 11 ماي الموافق

ليوم 11 ربيع الأول 1357هـ، استدعيت لمقابلة لجنة البحث العسكرية بالوادي وبحثتني في شأن الشيخ عبد القادر الياجوري، وقد سجّلت نصّ الحديث معها في مذكّرة خاصة ربّما أذكرها في غير هذا المكان.

وفي سنة 1940م يوم 17 أكتوبر بقيت بالعائلة في بسكرة مدة عشرة أشهر ونصف كعامل مع صهري الأخضر بن مبارك من 17 أكتوبر إلى فاتح سبتمبر 1941م. وفي سنة 1939م، غرة جانفي وقعت بيني وبين مسعود طالبي شركة قراض دامت إلى أواخر نوفمبر سنة 1939 ميلادية، وجلبتُ بضاعة بضاعة الشركة من خنشلة، وفتحت حانوتًا في السوق الدخلاني (حانوت عمّار بن الخامسة، الآن 1975 م) إلاّ أنّ قائد البلدة اضطرّني إلى غلقها، فرددت المالية إلى صاحبها مسعود طالبي.

وفي يوم 22 ربيع الثاني 1364هـ، الموافق ليوم 05 أفريل 1945م كتبت القانون الأساسي لمدرسة النجاح ، وكان ذلك بإيعاز جمعية العلماء في الجزائر حتى تستمرّ الأمور حسْب القوانين السائدة في الجزائر من وجوب النظام المدرسي بوضع جمعية محلّية وقانون أساسي بشروط معيّنة؛ وربّما يُذكر نصّ هذا القانون في موضع آخر غير هذه الرسالة، وفي يوم 29 ربيع الثاني 1364هـ، الموافق ليوم 12

أفريل 1945 ميلادية بعثت برسالة إلى الشيخ البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء اعتذرتُ له فيها عن عدم خروجي من قمار كمعلم في غيرها، وذكرت له أنّ أهل قمار عازمون على فتْح مدرستهم من جديد، وقدّموا في ذلك طلبًا للحكومة المحلية، واستشرته في هذه الرسالة باسم جماعة المدرسة في قبول، أو عدم قبول شروط الحكومة لفتح المدرسة؛ فكان الجواب نيابة عنه القبول، بشرط عدم المنافاة لقانون الجمعية للمدارس.

وفي يوم 17 جويلية 1946م، سافرت إلى الجزائر العاصمة لحضور مؤتمر جمعية العلماء الذي انعقد يوم 21 جويلية من السنة المذكورة، وعُيّن فيه الشيخ الياجوري كاتبًا عامًّا للإدارة الجديدة، وفي يوم 09 سبتمبر 1946 ميلادية سافرت إلى بسكرة، وأقمتُ بها خمسة أشهر من 09 سبتمبر 1946م إلى يوم 13 فيفري 1948م، ثم رجعت إلى قمار، وفي يوم 13 سبتمبر 1946 م الموافق ليوم 18 شوال 1365 هجرية بعث إلي الشيخ علي بن سعد اخرن برسالة باسم مؤتمر المعلمين ذكر فيها أشياء تتعلق بالتعليم، والمدارس، وجمْع الاشتراكات، والتبرّعات بدائرة الوادي، وفتْح ما أُغلق من مدارس جمعية العلماء. وفي يوم 24 ماي 1947م بعثت برسالة إلى جمعية الرابطة القمارية بتونس في شأن التصالح فيما بين أعضائها. وفي يوم

12 نوفمبر 1947م سافرت إلى بسكرة للبحث عن عملٍ، وفي يوم 20 نوفمبر 1947م سافرت إلى قسنطينة في طريقي إلى تونس، وأقمتُ بها يومًا واحدًا.

وفي يوم 16 سبتمبر 1948م سافرت إلى بسكرة بقصد التعليم ببلدة أمشونش ضواحي بسكرة حتى يوم 06 أكتوبر 1948م، وفي هذه الأثناء وقعت محاولات بيني وبين جماعة بسكرة لإرضائي بالتعليم في قرية أمشونش، فلم أرض بها افساد هوائها، ورداءة طقسها؛ ثم عدتُ إلى قمار حيث فتحت مدرسة النجاح من جديد، وشرعت في التعليم بها مع اتفاق جماعة قمار.

وفي يوم 20 نوفمبر 1947م، سافرت إلى تونس، وأقمت بها شهرين وعشرة أيام حتى يوم 02 فيفري 1948م، ورجعت إلى قمار يوم 06 فيفري 1948م، وفي يوم 16 فيفري 1948م، سافرت إلى بسكرة للتعليم بقرية الأمسيد ضاحية من ضواحي بسكرة، ولمّا قابلنا حاكم بسكرة لنطلب منه الإذن بالتعليم بمسجد الأمسيد أحال الأمر على الجمعية الدينية ببسكرة، وهذه لم توافق على أن يكون معلم من جمعية العلماء فيما فيه نفوذها من مساجد، ومدارس؛ إذ الصراع قائم باستمرار بين الجمعيات الدينية الرسمية، وجمعية العلماء إلاّ القليل؛ إلاّ أنها هذه الجمعية الدينية لم تصرّحْ بذلك؛ بل شرطت

رخصة التعليم، فلننتظرْ هذه الرخصة، وطال الانتظار إلى يوم 06 مارس 1948م، وبعدها انحلّت العقدة المزمعة للتعليم، وفي يوم 15 اجوان بعثت باشتراكي في كتاب جغرافية الجزائر للشيخ توفيق المدني قبل أن يطبعه الطبعة الأولى.

وفي يوم 02 أكتوبر 1948م بعث لي جماعة قمار، أو جماعة المدرسة رسالة يطلبون مني فيها أن أقدم لفتْح المدرسة، ومباشرة التعليم، وفي سنة 1947م وقعت عدّة مراسلات بيني وبين الشيخ التجاني زغودة من تونس في شأن الرابطة القمارية، وفي يوم الأربعاء 23 مارس 1949م، زار المدرسة مدير المكتب بقمار، وأخذ صورًا ومناظر فوتوغرافية للقسم الأول، والقسم الثاني وكان مُعجبًا بالمدرسة ونشاطها.

مدرسة النجاح بقمار تفتح أبوابها

وفي يوم 19 أكتوبر 1948م، فتحت مدرسة النجاح بقمار أبوابها لأول مرّة بعد الحرب العالمية الثانية، وكنت أنا المباشر لفتحها، وإدارتها، والتعليم بها منذ ذلك العهد إلى أن فارقتها سنة 1963م، وقد ثبتتْ أمام كل الأعاصير، ووقفتْ صامدة رغم كل العراقيل، والأباطيل، وفي 20 نوفمبر 1948م، عُقد بالمدرسة اجتماعٌ عام للمفاوضة في كيفية تسيير المدرسة، ونظام ماليتها.

وفي يوم 20 نوفمبر 1949م، عقد جماعة من المدرسة اجتماعًا عامًّا، وفي يوم 25 ديسمبر 1949م، جُمعت مالية المدرسة، وقرّروا باتفاق أن تكون المالية من الاشتراكات، والتبرّعات، وقرّروا قيمة الاشتراكات من 7000 فرنك قديم إلى ثلاثة آلاف للمستطيع، ومن دون مقابل للضعيف الذي لا يستطيع، وفي يوم 17 مارس 1949م.

الترجمان الفرنسي يحقّق معي: نُوديت للبحث على يد الترجمان الفرنسي، فسألني عن الكتابة في جريدة الصائر، وعن جمْع الاشتراكات لها، والاشتراك فيها بحضور" قائد " البلدة في داره.

وفي يوم 21 مارس 1949م، سافرت الأهل إلى بسكرة للمعالجة، وبقيت للمعالجة مدّة ثلاثة أشهر في دار أخيها الشيخ الحفناوي ببسكرة.

بين يدي الحاكم العسكري بالوادي: وفي يوم 17 مارس 1949م، اتُّهمت من طرف الحكومة المحلّية بالوادي، وبقمار، ومن طرف الطرقيين بأني أنا الذي كتبتُ مقالا في جريدة البصائر أشتم فيه الطرقيين، والطرقية، والطرق؛ ولا سيّما الطريقة التجانية، وبُعِث بي إلى الوادي، وقابلتُ الحاكم، ودفعتُ التهمة بأن صاحب المقال مصرّحٌ باسمه، وإمضائه تحت مقاله، فكيف يُتّهم غيره، وكان المقصود من هذا الاتهام هو التهديد، والتخويف حتى لا أحاول الخروج من قفص الهدوء والسكون.

وفي يوم 04 ماي 1950م، كتب لي كلٌّ من الشيخيْن الياجوري، وعبد الرحمن غريّب رسالة في شأن كُتب المدرسة التي كلّفتهما بشرائها وبعض الأدوات المدرسية الأخرى، وقد أنجزا وعْدهما بشراء ما طُولبا به. وفي يوم 18 مارس 1951م، راسلني الشيخ إبراهيم مزهودي في شأن نشاط مدرسة قمار، ومعهد ابن باديس بقسنطينة، وما يجب عمله نحوهما، ونحو غيرهما من المدارس.

وفي يوم 02 أكتوبر 1948م بعث لي جماعة قمار، وأنا في بسكرة برقية، وفي يوم 03 أكتوبر بعثوا إليّ رسالة يطلبون مني فيها أن أقدم لفتح المدرسة بقمار، والنوّاب الذين وقّعوا تحت الرسالة هم: ترعة مُحَمَّد علي، سلطانة علي، مجحودة علي بن خليفة، بنّي العربي، مرغني الصادق بن الحاج الطاهر. وفي يوم 15 أفريل 1941م بعث إليّ الشيخ الياجوري رسالة من مليانة وصف فيها نفسه، وشكر هذا العبد الضعيف على إرسال الدراهم له.

وفي يوم 18 أوت 1949م بعث لنا صديقنا الشيخ علي المطوي رسالة يلتمس مني فيها أن أبعث له كمّية من وبر الجمال، وجُبّة صوف من نسيج الدار فأسعفته بمطلوبه، يوم 18 سبتمبر 1948م ، وفي يوم 11 نوفمبر 1947م بعث إليّ السيد البشير بن العائب نيابة عن أهل قمار بتونس في شأن الرابطة الثقافية القمارية بتونس طالبًا مني أن أسعى في إصلاح البن بينهم، وبين الطلبة القماريين.

شكوى بمدير المدرسة: وفي يوم 08 جانفي 1951م رفع الوصيف الصادق المعلم بمدرسة النجاح بقمار شكوى إلى جماعة المدرسة كتبها في رسالة مطوّلة استغرت صفحات يشكو فيها مدير المدرسة الطاهر تليلي، ووصفه بما سوّلتْ له نفسه الخبيثة من أوصاف الشتم، والذمّ ما بلغ 55 وصفًا مذمومًا لا لشيء غير أن المدير سلّف

الشيخ حوري العيد المعلم أجرة شهر كإعانة له على الزواج الذي عزم عليه، مع الرفض من طرف المدير لطلبٍ تقدّم به الوصيف يطلب فيه السبب المبرّر والمعتبر، فكانت نتيجة الشكوى أن أُطرِد من المدرسة مغضوبًا عليه من الجميع.

تعييني بمعهد قسنطينة: وفي يوم 15 جويلية 1952م كتبت رسالة باسم جماعة قمار إلى الشيخ العربي التبسي بصفته رئيسا للجنة التعليم في جمعية العلماء يطلبون منه إبقائي في مدرسة قمار معلمًا، وأن يعدل عن نقلي إلى المعهد بقسنطينة، فأجاب الشيخ التبسي الطلب على مضضٍ، وسخطٍ ولوْم شديدٍ عليّ أنا حيث قبلتُ لهم بالبقاء معهم.

وفي يوم 07 اجوان 1952 م الموافق ليوم 24 رمضان 1371هـ، بعثت برسالة إلى الشيخ التبسي أطلب فيها منه فتْح أبواب المشاركة في امتحان الشهادة الابتدائية لجمعية العلماء، وأن يفتح تلك الأبواب في وجه تلامذة مدرسة قمار التي هي تابعة لمدارس الجمعية، وقد لبّ الطلب، ووقع امتحان تلامذة المدرسة بمدينة بسكرة.

تقرير أدبي عن مدرسة النجاح: وفي شهر جويلية 1952م ، كتبت تقريرا أدبيا مطوّلا يخصّ مدرسة النجاح بقمار شغل 10

صفحات، ذكرت فيه سيْر المدرسة من أول فتحها من جديد سنة 1948م حتى سنة 1952م.

وفي يوم 15 جانفي قدِم الشيخ الياجوري، والشيخ علي المغربي مُوفديْن من طرف جمعية العلماء إلى قمار لجمْع المال لتأسيس معهد ابن باديس بقسنطينة، فجمعا من قمار وحدها عدد سبعة وستين ألفا من الفرنكات القديمة، وفي يوم 30 جويلية 1952م ، سافرت من قمار متوجها إلى تونس، مارًّا ببسكرة، فقسنطينة فخنشلة، فعنابة، فسوق أهراس، فتونس فأقمتُ بتونس من يوم 17 أوت 1952م إلى يوم 30 أوت 1952م .

وفي يوم 22 أكتوبر 1952م جاء حاكم الوادي إلى المدرسة، وهدّدني، وأوعدني أنه يغلق المدرسة إنْ لم يُطردْ منها بوهلال مُحَمَّد الصالح بن البشير بن الخوصي، زاعمًا أنه شيوعي. وفي يوم 22 جانفي 1951م، اشتريت نخلات المقلع من الوالد، ثم بعد سنوات ثلاث نخلات على عمّتي آيمة بنت الأخضر، ونخلتيْن على عمّتي التجانية بنت الأخضر، وغرست هدّة نخلات حتى اجتمع لي بالهود 33 نخلة بين كبيرة وصغيرة منها 23 دقلة نور، ثم بعت الجميع.

تجارة البرانس مع ميلود النيس: وفي فاتح نوفمبر 1953م، اشتركت مع الشيخ ميلود النيس في شراء البرانص، فأنا أشتري، وهو

يبيع في عمالة وهران، وكان رأس مال الشركة بلغ السبعين ألفًا من الفرنكات القديمة، ودامت هذه الشركة حتى يوم 20 سبتمبر 1954م. وفي يوم 01 جويلية 1952م الموافق لشوال 1371هـ، تحصّل ابني جمال الدين على السنة الرابعة ابتدائية وكان نجاحه بحسب 165 نقطة من 177 .

وفي سنة 1953م، يوم 21 أفريل الموافق ليوم 07 شعبان 1372هـ، أجابني الشيخ عبد القادر الياجوري برسالة ردًّا على رسالتي الشعرية التي عزّيته بها في موْت والدته التي ماتت أيام التاريخ. وفي يوم 18 سبتمبر 1952م، راسلني الشيخ بلقاسم الجبالي العوني من قسنطينة باسم جمعية العلماء، أو لجنة التعليم بها، وقال في رسالته إن الشيخ العيد الحوري عُيّن معلمًا في بلدة الرمشي بعمالة وهران، فيجب أن تبحث عن معلم عوضه في المدرسة.

وفي يوم 21 أوت 1954م، خرجت من عاصمة الجزائر بعد ما مكثتُ فيها شهرًا وأربعة أيام، أي من يوم 16 جويلية إلى يوم 21 أوت 1954م، وفي هذه السنة جهّزت ابني جمالا ليسافر إلى الشرق في بعثة علمية لجمعية العلماء، فلم تتيسّر لقيام ثورة أول نوفمبر 1954م، فبقي في معهد ابن باديس شهرا، وعشرة أيام فلم يتابع

دروسه فرجع إلى قمار بخُفي حنيْن، وكان مصروف التجهيز بلغ ـ 5 ـ 873 بين كسوة وكراء، وأجرة دراسة بالمعهد.

وفي يوم 13 أفريل 1954م، بعثت برسالة إلى الشيخ العربي التبسي أطلب فيها مشاركة بعض تلامذة المدرسة في البعثة العلمية إلى الشرق، من بينهم ابني جمال التليلي، وترعة عبد المؤمن، وترعة جمال بن الصادق فاستُجيب الطلب، ولم تتيسّر البعثة إلى الشرق.

وفي يوم 05 مارس 1955م، دفعت إلى ابنتي سكينة عدد خمسة آلاف فرنك قديم الذي هو كل مهرها وصداقها من زوجها عبد الرحمن طالبي دفعته لها بواسطة أمها، وفي يوم 20 جويلية 1955م، بعثت رسالة إلى مكتب الصنائع بعاصمة الجزائر فأُجبت بالسلب، فلم يُقبلْ.

وفي يوم 08 نوفمبر 1953م، وقع احتفال بمدينة قسنطينة من أجل افتتاح دار الطلبة بها، وكان الشيخ الحفناوي هالي كاتبا في إدارة المعهد الباديسي، وفي سنة 1955م، كنت عزمت على أداء فريضة الحج، إلاّ أن المقادير لم تسمح لي بذلك، وأرجو من الله التيسير لأداء هذه الفريضة الإسلامية.

وفي يوم 26 اجوان 1956م ، بعثت إلى الشيخ الحفناوي هالي أوراق ابني جمال الرسمية، وشهادته الفرنسية، ووكالة شرعية مني إليه

على جمال ليقوم مقامي في الإجراءات الرسمية الإدارية لدخول الابن في مكتب الصنائع بالعاصمة. وفي يوم 17 سبتمبر 1956م، سافر جمال إلى الجزائر من أجل الدخول إلى مكتب الصنائع. وفي يوم 18 سبتمبر 1956م، أجْري على ابني جمال امتحان في مكتب الصنائع بعاصمة الجزائر، وقد اختار صناعة صبغة البيوت، أو دهّان في البيوت، كما قال، ومع ذلك لم يثبتْ شيء من ذلك ولا الكهرباء.

أطروحة أحمد ناجح: وفي يوم 17 سبتمبر 1956م، كتب السيد أحمد ناجح أحد أصدقائي رسالة لي ذكر لي فيها لأنه عازمٌ على تقديم أطروحة له لجامعة باريس، والتمس مني أن أبعث إليه بما يُعينه عليها من وثائق، ومصادر، وقد بعثت له بنسخة العدواني التي عندي، ومعها أوراق أخرى سجلتها في فترات متعددة تبحث كلها في تاريخ سوف؛ إلاّ أن الشيخ ناجح قدّم الأطروحة للجامعة وطبعها وهي بالفرنسية، وفي تاريخ الصحراء وسُوفْ، وتحصّل بها على الدكتوراه من القسم الثالث، وفرغ من عمله، ولم يردّ لي أيّ ورقة من تلك الوثائق ولا نسخة العدواني؛ بل لم يخبرْني حتى بأنه قدّم الأطروحة ونجح، عفا الله عنه، وسامحه.

ابني جمال الدين في فرنسا: وفي سنة 1957م، أرسلت ابني جمال الدين إلى فرنسا ليتعلّم في مكتب الصنائع الذي كان يتعلم فيه

بالمراسلة سنة 1956 م، ويختار صنعة يعيش بها بعد ما أيس من التعليم التثقيفي، لكنه ركب رأسه، وتمرّد ولم يتعلم أيّ صنعة، وشقّ عصا الطاعة، ودخل في الهَمَل من أوباش الناس، وبقي في إهماله، وهمجه في فرنسا لا يعرفنا، ولا نعرفه مدّة تزيد عن العشر سنين، ثم بعثت له فرجع إلى عنابة يوم 15 أكتوبر سنة 1967م، وتاب إلى رشده، وباشر التعليم كممرّنٍ، وتزوّج وله الآن أولاد، والله الهادي والمرشد.

ويظهر أن حبل التقييدات قد انقطع منذ سنة 1957 م إلى سنة 1963م، وهي فترة تقارب الست سنوات جمُدَ فيها كل شيء بالنسبة لي من العمل الدراسي اليومي المكرّر، وحتى زيارات الإخوان والأصدقاء انعدمت بتاتًا، فلا مزور، ولا زائر في سنوات الثورة كلها؛ فلكل امرئ يومئذ شأنٌ يغنيه، وقد أ ستثني من هذا الجمود تلك الرسائل والمراسلات الإدارية الخاصة بالدراسة في المدرسة.

وفي يوم 22 أوت 1962م، اشتريت كتاب لسان العرب في اللغة لابن منظور يحتوي على 20 جزءا، مجلدا تجليدا افرنجيا، وإني أعدّ ذلك ثروة أدبية تحصلت عليها. وفي سنة 1963م، توفيت والدتي فاطمة بنت عبد الله زغودة عن سن 83 سنة تقريبًا. وفي يوم 30 ماي 1963م، رفضت قبول أجرة التعليم بمدرسة النجاح،

وطلبت من أكاديمية الأغواط سحب حوالتها التي بعثتها باسمي كمرتّب شهري بناء على أنها عيّنتني مديرا، ومعلما بالمدرسة في يوم 16 مارس 1963م، وحجّة رفضي للمرتب أني قدمت تسليمي من المدرسة المذكورة يوم 28 فيفري 1963م، وكتبت رسالة إلى المدير العام بوزارة الإرشاد القومي مؤرخة بيوم 04 جويلية 1964م، أطلب فيها تعييني في إحدى ثانويات تقرت، الوادي، بسكرة حيث توجد ثانويات.

وفي يوم 04 سبتمبر 1964م، كتبت رسالة إلى وزير الأوقاف طلبت منه أن يختار لي العمل من وزارته كمعلّم، أو أستاذ حسْب درجتي التي خوّلها لي المرسوم الوزاري أو يختار لي العمل في وزارة الإرشاد، فالخيار له بشرطه. وفي يوم 22 ماي 1963م، قوّمت الكتب التي أعددتها للبيع بـ 230.000 من الفرنكات القديمة، وفي يوم 28 اجوان 1964م، وقع اختبار قسم البنات بمدرسة سلام باي (المدنية) التابعة لمعهد حسين داي بوزارة الأوقاف، وهو القسم الذي أشرف عليه، وأباشر تعليمه.

وفي يوم 17 اجوان 1964م، بعثت برسالة للشيخ سعيد حجازي مدير معهد حسين داي في شأن امتحان قسم البنات

المذكور، وفي يوم 30 سبتمبر 1964م، وهو يوم الأربعاء دخل ابني عمر إلى ثانوية عمارة الرشيد منخرطًا في سلك الطلبة.

وفي يوم 09 أكتوبر 1964م، بعث لي الشيخ بيكة علي بن مُحَمَّد رسالة يطلب فيها أن أعينه على التوظيف، والعمل بمعهد الواد، وقال إنه يحسن تعليم التجويد، والقراءات، ويحفظ القرآن، وقد اعتذرت له بأنه لا يوجد الآن فراغٌ بالمعهد. أقمتُ بدار حبُّوشة بالوادي من شهر أكتوبر 1964م، إلى شهر ماي 1965م، بالعائلة، وهي الدار الكائنة بحومة أولاد حمد، نهج العبسي وفي أكتوبر من السنة القابلة سكنت أشهرا قليلة في وكالة جديدي الحاج سالم، هي مُحصّنة بالسوق.

وفي يوم 27 اجوان 1964م، قدم الوالد بلقاسم التليلي إلى الجزائر مرّة ثانية لمعالجة عيْنيْه بمستشفى بني مسوس وبقي معي مدة في المدرسة، ثم أشار عليه الطبيب بأن يرجع بعد أشهر أخرى، وقبلها اشار عليه بمثل ذلك، فعلم الوالد أنه لا فائدة من علاجه، فلم يرجعْ وفي فاتح اجوان 196م، اشتركت مع زوينة العزوزي في معمل القازوز ودفعت سهْمًا من جملة أسهم الشركة وكان ذلك بواسطة عبد الرحمن طالبي التاجر بخنشلة؛ إلاّ أنه وقع حيْفٌ في تقسيم الربح، ودام هذا الحيْف سنوات، ثم ترتّبت على المعمل ديون دولية، وضرائب لم تُسدّدْ

فأُغلق المعمل، وبيع، واشتراه عبد الرحمن طالبي، وسحبت أنا بعض رأس مالي منه، وبقي البعض.

صهري الشيخ الحفناوي ضحية حادث مرور: وفي يوم 01 جانفي 1965م، انتقل إلى عفو الله ورحمته صديقنا، وزميلنا، وصهرنا الشيخ مُحَمَّد الحفناوي بن الأخضر بن مبارك هالي بسبب اصطدام وقع بين سيارته، وشاحنة في طريقه من الجزائر إلى الأغواط في جماعة من بينهم وزير الأوقاف، سافروا لتأسيس مسجد بالأغواط، فقضى الله بالموت على ثلاثة من تلك القافلة الوزارية منهم الشيخ الحفناوي المولود سنة 1911م، وقد مات عن سنّ تبلغ 53 سنة، رحمه الله رحمة واسعة، وقد حضرت جنازته، ودفنه بمقبرة العالية، حيث يُدفن المناضلون والمجاهدون، وزعماء الثورة، وأعيان العاصمة.

وفي يوم 25 نوفمبر 1965م، قدّمتُ طلبًا للسكنى إلى شركة " لاشالام" بعنابة، حيث أن السكنى التي حُجزت لي بجبّانة اليهود بعيدة عن الثانوية التي أعلّم بها، وهي ثانوية مبارك الميلي، فلم أتحصّل عليها. وفي يوم 22 جويلية 1965م، بعثت برسالة إلى وزير التربية الوطنية أطلب منه ان يحسب لي سنوات التعليم القديم في الأقدمية حسْب القانون القاضي بذلك، وهو مرسوم 03/19 / 1964م، تحت رقم 6499 حتى تُحسب في سنوات التقاعد. وفي يوم

04 نوفمبر 1965م، سافرت إلى عنابة لمباشرة التعليم بثانوية " سانت أوقستان "، ثم بثانوية مبارك الميلي.

وفي يوم 10 نوفمبر 1965م، اكتريت بيتا في نُزُل حفيان مسعود بعنابة نهج مايو عدد 03، وأقمت شهرا كاملا حتى يوم 10 ديسمبر 1965م، وكانت أجرة الليلة الواحدة عدد 500 فرنك. وفي يوم 02 ماي 1965م، انتقل ابني عُمر إلى السنة الرابعة ثانوي بثانوية عمارة الرشيد بالجزائر، وفي يوم 10 ديسمبر 1965م ، سكنت لأول مرّة بالعائلة في جبّانة اليهود ضاحية عنابة، أو حومة منها في عمارة . ف . قسم . د . نهج رويسودور حتى آخر سنة 1966م .

تعرّفت أثناء وجودي بثانوية عنابة بزملاء من خيار الناس من بينهم الشيخ أبو عثمان القيطوني التونسي، والشيخ مختار بن سليمان النابلي التونسي، والشيخ مُحَمَّد شوية الزقيمي، والشيخ بلقاسم حماني من الوادي، والشيخ مُحَمَّد أبانوا الإباضي الميزابي، وكلّهم من خيرة المعلمين العاملين. وفي يوم 02 اجوان 1964م ، شارك عدد 105 تلامذة في امتحان آخر السنى بمعهد الوادي الذي أديره، ونجح منهم عدد 48 تلميذا، ويمكن للباقي المشاركة في امتحان أول أكتوبر للسنة المقبلة، ويُستثنى منهم 30 تلميذا.

وفي يوم 28 سبتمبر 1965م أنجزت بناء داريْن في الحوش الظهراوي، حوش عُمر بن ميدة، هذان البيتان للأختيْن الزهرة، ومسعودة، وبلغ مصروف البناء لهما عدد 224500 من الفرنكات القديمة. وفي يوم 17 أوت 1965م، بعث إليّ الأستاذ العلامة الشيخ أبو الشوارب عبد المقصود رسالة من مصر يشكر فيها الوادي، والمعهد، والقائمين بالمعهد. وفي يوم 08 اجوان 1965م، بعث لي فيصل هالي برسالة يذكر فيها أنّ وزارة الأوقاف منحت أسرة الشيخ الحفناوي هالي عدد ثلاثة ملايين وسبعين ألفا من الفرنكات القديمة، وعيّنت لهم مائة ألف فرنك شهريا. وفي 07 ماي 1965م، أُجري امتحان على ابني عُمر للدخول إلى الاختصاص في العلوم العصرية بثانوية عمارة الرشيد. اجتمعتْ عندي كمّية وافرة من أعداد جرائد السُنّة والشريعة، والصراط، والبصائر فأحصيتها، فبلغت 426 عددًا فبعتها كلها في عاصمة الجزائر بواسطة الكُتُبي السيد حنّاني الزقيمي.

وفي يوم 26 جويلية 1966م، عُقد اجتماعٌ عام للمجلس الإسلامي الأعلى الجزائري بوزارة الأوقاف بحيدرة. وكانت النتيجة أن أُلّفت لجانٌ متعددة ، واحدة للفتوى، وأخرى للتوجيه، وثالثة للثقافة، ورابعة للتنسيق ، وخامسة للعلاقات الخارجية، وكنتُ أنا من لجنة التوجيه بعد ما سُجّ اسمي في عضوية هذا المجلس من دون علمٍ منّي

فرفضت المشاركة في العضوية والتوجيه جريًا على عادتي من الهروب من الرسميات، ومن الظهور في المجتمعات، أو بين الشخصيات.

وفي يوم 29 أوت 1967م، قدّمت طلبا للسكنى في ضاحية سانكلو بعنابة قرْب ثانوية مبارك الميلي، فلم أُسعفْ في هذه المرّة ايضا، لأن أمثالي من معلمي العربية لا يُؤبه لهم، ولا يُبالى بهم من طرف الإدارات، والشركات الرسمية، قال حافظ إبراهيم:

إذا شئتَ أن تلقى السعادة بينهم *** فلا تكُ مصريا ولا تك مسلما

وفي يوم 29 أفريل 1967م، تزلّقت الأهل بقشرة برتقال في دار الرومية التي نسكنها بنهج بن باديس بعنابة، فوقع لها التواء وكسْرٌ في ركبتها، فدخلت المستشفى، وبقيت رجلها غير صحيحة حوْلاً كاملاً، أو يزيد ثم شُفيت تمامًا وقبلها بأيام مرضتْ بغلظ الدم، وهو مرضٌ كثيرا ما ينتابها ويهجم عليها.

وفي يوم الأربعاء مساءا 22 فيفري 1967م، استُدعيت إلى مكتب البوليس بعنابة، وأعلمني رئيس المكتب أن إدارة الحسابات الجارية رفعت بك شكوى من أجل أنك طلبت منهم مبلغًا من الدراهم لم يوجد في حسابك الجاري، فأجبتُ بأنه وقع خطأٌ من طرفٍ ثالثٍ غير متعمّد للتزوير، فاقتنع رئيس القسم وأطلق سراحي.

وفي يوم 23 أكتوبر 1967م، سافرت من تقرت إلى عنابة للإتيان بالأهل إلى تقرت، حيث وجدت لهم سكنى قريبة من مكان عملي. وفي يوم فاتح مارس 1968م، اشتركت في الجريدة الرسمية من أجل الاطلاع على قوانين التعليم، وما يتعلّق بالمعلمين الأحرار، وقضية التقاعد وغير ذلك.

وفي يوم 16 أوت 1968م ، تزوّج ابني جمال الدين بليلى بنت الأخضر لمّادي، ووافق تاريخ الزواج يوم 30 ربيع الثاني 1389 هجرية بقمار. وفي شهر جويلية 1969م، تحصّل ابني عُمر على شهادة البكالوريا من ثانوية عمارة الرشيد بالجزائر.

وفي يوم 23 أكتوبر 1969 م، فارقنا ابني جمال الدين بعائلته لأول مرة، فسافر إلى قرية أغفيان معلما، وبقي بها ما يقرب من 03 سنوات تارة بصحبة زوجته، وتارة وحده. وفي يوم 20 ديسمبر 1970م ، استدعاني السيد طالبي مسعود والد صهري عبد الرحمن ، وأشهدني في جملة من أشهدهم على نفسه أنه قوّم رزقه بكذا، وكذا على حسب اجتهاده دون محاباة، ووزّعه على ورثته حسبما يراه صلاحًا للجميع، وطلب من ورثته أن يرضوا بقسمته، فرضوا، وأشهدنا على ذلك، وسوّد في ذلك مسودّة كتبتُها له أمام الورثة، وأمام إخوته.

وفي ليلة يوم 08 أكتوبر 1972م، الموافق ليوم 29 شعبان 1392 هـ، نزلتْ بساحة الحوش الشرقي الذي نسكنه حاليا صاعقة وهي عبارة عن كتلة من نار مشتعلة، وكان موضع سقوطها بالضبط بين الدار القبلية والدار الشرقية، وبقيت هنيهة وهي تشتعل، وأهل الدار يشاهدونها، والمطر غزيرٌ وكثيرٌ، ولم تطفأْ إلاّ بعد دقائق ومع ذلك فلم يُصبْ أحدٌ من أهل الدار بسوءٍ، ولا شيء من أثاث المنزل بشرٍّ .
وفي يوم 18 مارس 1973م، وُلد لجمال الدين ابنٌ ولدٌ ذكرٌ سموه رشيدا، وذلك ليلة الأحد بعد منتصف الليل الموافق ليوم 14 صفر 1393 هـ ، بقمار.

وفي يوم 01 أكتوبر 1972م، تحصّلت على التقاعد ، وإلى هنا انقطع الحبل مرّة أخرى، فلم أسجّل لو لم أجد ما يُسجّل من حوادث لها مساسٌ بحياتي، ولو من بعيد، وذلك إمّا لتفاهة الأحداث، أو لضياع قصاصاتها، ورسائلها، أو من أجل أني تحصّلت على التقاعد، فاستعملت هذا التقاعد في القعود عن كل شيء حتى عن تقييد ما يحسن تقييده، أو كل ذلك وغيره قد يكون، وقد يثبط أنا لا أدري، وبعد هذه الأرقام التاريخية العريانة التي أعتقد أن أكثرها أتفه من أن يُسجّل في سجلات الحياة، أو يُدوّن في دواوين التاريخ:

ولكنَّ البلادَ إذا اقْشَعَرَّتْ * * * وَصَوَّحَ نَبْتُها رُعِيَ الهَشِيْمُ

وبعد ذلك فإني أعتذر للقارئ بأنه لم يبق في الكنانة من الأعواد إلاّ الموسوم بالإدارية، وما أكثر عيدانها، أو المتّسم بالإخوانية من الرسائل العائلية، وغير العائلية، وهي أشياء لا تستحقّ في الحقيقة والواقع أيّ ذكرٍ أو تسجيلٍ، ولكن حرصي على جمع ما أمكن من تلك التوافه لزّيني لكتابتها لعلّ الزمان يسمح ببعض الأولاد، والأحفاد؛ هذا وإني نسيت أن أسجّل قبل الآن، وفي غير هذا الموضع ما كنت سوّدته في أوقات الفراغ قتلاً للوقت، وإلهاءً للفكر من منثور ومنظوم، ومجهول ومعلوم.

أعمالٌ أدبية: وما دمتُ أعتقد أني هنا أسجّل بعض أعمالي الأدبية، أو الثقافية، أو المُعاشة، فلا بأس أن أقيّد ما سوّدته في تلك الأوقات من السنين الخالية، وهو شبه رسائل، فمن ذلك نظْمٌ من الورقات في الأصول لأمام الحرميْن الجويني، ومنها نظْم متن الاستعارات للسمرقندي، ومنها كرّاس في الفلك اقتبسته من مطالعاتي، وسمّيته الدّرر الملكية في الدراري الفلكية، ومنها رسالة في ترجمة وحياة خليفة بن حسن صاحب نظْم مختصر خليل، وياليتها تعبيد السنن في حياة خليفة بن حسن، أو إتحاف القارئ بحياة خليفة

بن حسن القماري*، ومنها رسالة في تلخيص صروف الشيخ إبراهيم بن عامر في تاريخ سُوفْ، وسمّيتها حديث المسامر من صروف ابن أبي عامر، ومنها رسالة في الأذكار الشرعية المعتمدة، فهذه الرسالة النثرية المذكورة، وما زالت في لحافها الأسود تغطّ في نومها الثقيل تحت جُنْح ليلها الطويل المظلم.

ولا أنسى أن أسجّل هنا المجموعة الشعرية التي أسمّيها مجازًا " ديوانًا " وهي مجموعة تحتوي على ما يقرب من ثلاثة آلاف بيت، وقد تزيد من النظْم، أو الشعر أكثره في الإصلاحيات، والإخوانيات، والمدرسيات التي يصوّر مجموعها حياتي الخاصة في مجتمعي الصغير: الأسرة، والبلدة، والمدرسة.*

وأنا الآن وفي وقت أستجمّ فيه بصدد تسويد رسالة في الأمثال العامية، فقد جمعت ما يزيد على الخمسمائة مثلٍ عاميٍّ مشهور، ومعروف في الأوساط الصحراوية، ولا سيّما في سُوفْ، وكذلك رسالة أخرى ما زلتُ بصدد تسويدها جمعتُ فيها ما تيسّر لي من الكلمات العامية التي يتخاطب بها أهالي سُوفْ، وعلى حسب لهجتهم، وقد

* ـ صدر هذا الكتاب بعد وفاة الشيخ تليلي، وأشرف على تحقيقه وإصداره المرحوم الدكتور أبو القاسم سعد الله.

* ـ صدرت في ديوان شعري بعنوان (الدموع السوداء)، أشرف على تحقيقه وإصداره المرحوم الدكتور أبو القاسم سعد الله.

بلغت في جمْع تلك الكلمات العامية لِمَا يقرب من أربعة آلاف كلمة الآن؛ وما زلت أجمع وكذلك سوّدتُ، وما زلت أسوّد كشكولاً، أو مجموعًا يشتمل على فوائد كثيرة تتعلّق بتاريخ سُوفْ في القديم والحديث، وعلى وفيات كثير من الشخصيات البارزة، والمعروفة في سُوفْ، وفي قمار على الخصوص، وبعض الشخصيات العالمية، وعلى قصائد من الشعر الملحون(الدرز) لشعراء قدماء اشتهرت أسماؤهم في المحافل الأدبية الصحراوية مثل علي خرجة، وحسين الليل، وابن سهلة، وابن السايب، وعلى غير ذلك من الفوائد المتناثرة والمتنافرة فهو كشكول تاريخي أدبي خاص بسوفْ والصحراء.

شيوخي بقمار وتونس

وهذه قائمة لأسماء بعض شيوخي الذين أخذت عنهم القرآن، أو العلم، أو استفدت منهم فوائد علمية سواء في قمار، أو في تونس داخل جامع الزيتونة، وتحت نظامه، أو خارج جامع الزيتونة، وفي تونس؛ ولم أقصدْ غير جمْع الأسماء فقط في هذه القائمة من دون ذكر الفوائد، أو وفياتهم، أو ترتيبهم، أو ذكر شيء من تاريخهم؛ اللهم إلاّ في القليل النادر:

شيوخي في قمار

التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي	شيوخي في بلدة قمار	الـتخصّص
		أحمد بن حمّ الأخضر بن المحنط	قرآن
1344	1924	الأخضر بن عمر بن ميدة" جدي"	قرآن
1389	1969	الطيب بن الحاج علي بن الزا	قرآن
1365	1945	مُحَمَّد بن البرّيّة " الزبيري "	علوم
1388	1968	مُحَمَّد اللقاني بن السايح	علوم
1363	1943	مُحَمَّد العزوزي بن الصادق حوحو	علوم
1360	1941	أحمد بن مُحَمَّد اللقا	علوم
1388	1968	عمار بن عبد الله بن الأزعر	علوم

شيوخي في جامع الزيتونة بتونس

		مُحَمَّد العربي الدرعي	علوم
		مُحَمَّد بن الأمين	علوم
		إبراهيم النيفــر	علوم
		أحمد العياري	علوم
		الشاذلي بن ضيف	علوم
		العربي الماجري	علوم
		مُحَمَّد العزيز النيفر	علوم
1350	1930	عثمان بن المكي التوزري	علوم
1408		مُحَمَّد بن قاسم ساكيس	علوم
		أحمد بن عثمان الشواشي	علوم
		مُحَمَّد الزغواني	علوم
1394		مُحَمَّد الشير النيفر	علوم
		الطيب سيالة	علوم
		مُحَمَّد الناجي بن مراد	علوم
		مُحَمَّد الهادي العلاني	علوم
1363	1943	معاوية التميمي	علوم
		مُحَمَّد الحطاب بوشناق	علوم
		مُحَمَّد الصالح بن مراد	علوم
1380		عبد السلام التونسي	علوم
		أحمد الجربي أو الجريدي	علوم

1367	1947	مُحَمَّد الشاذلي الجزيري	علوم
1363	1943	مُحَمَّد الصادق الشطي	علوم
1364	1944	حسن بن يوسف	علوم
1350	1930	مُحَمَّد بن القاضي	علوم
1352	1935	عثمان بن الخوجة	علوم
		أحمد الأصرم	علوم
		مصطفى القمودي	علوم
1393		الطاهر بن عاشور	علوم
1358	1939	مُحَمَّد بن يوسف	علوم
1407		المختار البجاوي	علوم
1393		المختار محبوب	علوم
		أحمد عـيّاد	علوم
1399		مُحَمَّد الهادي بن القاضي	علوم
		صالح المالقي	تاريخ العلوم
		مُحَمَّد الداني	تاريخ العلوم
		علي بن عامر	تاريخ العلوم
		التارزي النفطي الجريدي	تاريخ العلوم
		مُحَمَّد بن الزنايقية	تاريخ العلوم
		علي بن الخوجة الأصهب	تاريخ العلوم
		حمادي بن الأمين	تاريخ العلوم
		حسن الشواشي	تاريخ العلوم

	مختار المؤدب		تجويد
	مُحَمَّد الهادي الكلبوس		تجويد
1363	التجاني زفزوف	1943	تجويد
	مُحَمَّد الجديدي البنزرتي		تجويد
	أبو الأذنيْن		تجويد
	شيوخي خارج جامع الزيتونة		
	حسن حسني عبد الوهاب		علوم مختلفة
	الحسن بن شعبان		علوم مختلفة
	الحكيم دنقرلي : الطبيب		علوم مختلفة
	محمود الماطري: الطبيب		علوم مختلفة
	محمود بن عمار الورتاني		علوم مختلفة
	العربي العكرمي		
	عثمان بن منصور		
	الطيب قرداح		
	الشيخ السويح		

أسماء الكتب التي قرأتها

على الشيوخ فيجامع الزيتونة وفي غيره، وهي هذه:

ـ شرح الكفاية على الرسالة لابن أبي زيد القيرواني

ـ إيساغوجي في المنطق، وشرحه لمحمد بيرم الثالث المتوفّي 1259 هـ

ـ شرح القطر في النحو

- الإقناع في رسم اليراع
- الباجوري على جوهرة التوحيد
- المارغني على جوهرة التوحيد
- الزنجاني في الصرف
- شرح المجرادية في الجُمل
- ميارة علي بن عاشر في الفقه المتوفّى سنة 1048 هـ
- الماكودي في النحو على ألفية بن مالك. توفي سنة 807 هـ
- الحطاب على الورقات في الأصول لإمام الحرميْن.توفي سنة 954 هـ
- شرح الباجوري على السلم في المنطق
- الملوي على السمرقندية في البلاغة
- الدردير على مختصر خليل في الفقه
- الأشموني على الألفية في النحو.توفي سنة 900 هـ، ومحشية علي بن سعيد توفي سنة 1199 هـ
- شرح الرحبية في الفرائض
- التاودي على العاصمية في الفقه
- مراح الأرواح في الصرف
- التنقيح في الأصول للقرافي
- شرح التهذيب في المنطق

- السعد في البلاغة على التلخيص للقزويني المتوفي 792 هـ
- شرح الواسطي في التوحيد
- خلاصة تاريخ تونس لحسن حسني عبد الوهاب
- الدرّة في الفرائض لعبد الرحمن الأخضري الجزائري
- جوهر المكنون في البلاغة للأخضري
- شرح المعلقات في الأدب
- التحفة المَرْضِية في الأخبار اللدونية
- لباب الفرائض للصادق الشطي
- فقه اللغة للثعالبي . توفي سنة 469 هـ
- تفسير الجلاليْن للسيوطي. توفي سنة 911 هـ
- مختصر ابن أبي حمزة في الحديث
- تفسير الكشّاف للومخشري
- الكافي في العروض والقوافي
- الجامع الصغير للسيوطي
- الفروق للقرافي في أصول الفقه

وهناك كُتُبٌ أخرى لم أذكرْها هنا لعدم أهميّتها.

وإلى هنا انتهت حياة الأحياء، وهي حياة الحركة والعمل، وحلّت محلّها حياة الأموات، حياة التقاعد بالنسبة لي ولأمثالي ممّنْ

أُصيبوا في آخر أعمارهم بأمراضٍ شتّى عاقتهم عن أعمالهم الواجبة، والضرورية، فلازموا العزلة، والفراش لعدم القدرة على الحركة، والنقاش والحمد لله على كلّ حال.

اختيار التقاعد

ولك أن تسألني أيها القارئ وتقول: لماذا اخترت التقاعد عن العمل، والقعود في البيت، واعتزال الأعمال الاجتماعية؛ مع أن العمل فيه وفرة مالٍ، وترفيه العيال، وتحسين الحال، وإراحة البال من كل بلبال، وتنشيط الأعضاء، وتبديل الأهواء، ونفْع الأحياء، واكتساب الأصدقاء، وتمييز الأعداء الأوردّاء؛ بل العمل ولا سيّما التعليم حركة مباركة، وصفة حميدة، وغُنْمٌ عاجل ومعارف تتزايد، ورياضة فكرية، وصحة بدنية، ونفْعٌ عام، وسعْيٌ مثمرٌ، وإنتاج مفيد، ومساهمة في بناء المجتمع الصالح، والحضارة القومية .

يمكن للقارئ أن يسأل لماذا اخترت التقاعد، والقعود، والتباعد، والجمود ؟ والجواب عن هذا السؤال، هو: أني أردتُ أن أُطبّق على نفسي معنى البي الآتي اعترافًا بالحقّ:

يا باري القوس بريا لست تحسنه** لا تظلم القوس اعط القوس باريها

ولمعنى قول الآخر:

إذا لم تستطع شيئا فدعْه * * * وجاوزْه إلى ما تستطيع

ولمعنى قوْل الثالث:

خَلِّ الطَّرِيقَ لِمَنْ يَبْنِي المَنَارَ بِهِ* *وابرز ببرزة حيث اضطرك القدر

وخشية أن يُقال لي ما هكذا يا سعد تُورد الإبل، أو يقال لي ليس يعشك فادرجي، فقلت: بيدي لا بيد عمرو، وعاش منْ عرف قدْره، وأكرمتُ لحيتي بيدي، وقلتُ حسبي من القلادة ما أحاط بالعنق، وحسْبُك من شرٍ سماعُهُ؛ وأخيرا تغنّيتُ بهذه الأبيات، وأنا أُودّع المدرسة، وبطاقة التقاعد في يدي:

ولبْس عباءة وتقرّ عــيني * * * أحبّ إليّ من لبْس الشفوف
وأكْل كُسيْرة في كسر بيتي * * * أحبّ إليّ من أكل الرغـيف
وأصوات الرياح بكل فـجٍّ * * * أحبّ إليّ من نقْـر الدفوف

سنة التقاعد: وتمّ هذا التقاعد وانفصالي عنن العمل في فاتح أكتوبر من سنة 1972م، وكانت آخر مدرسة علّمت فيها هي ثانوية تقرت المختلطة، حيث بقيت فيها من سنة 1967 م حتى سنة 1972 م، من أكتوبر إلى أكتوبر، وبعدها قبعْتُ في البيت، فكنت حِلسه، واقتنعت بالزيت، وعفتُ فلسهْ. وبعد ما ذكرت لك ما أمكنني ذكره من تاريخ حياتي العملية، وكتبته في هذه الكرّاسة الصغيرة التي بين يديْك حتى بك الى يوم أكتوبر من سنة 1972 م، وهو أول يوم للتقاعد بالنسبة إليّ، وفيع قعدْتُ عن جميع الأعمال المثمرة الخاصة والعامة، وألقيت عصا النشاطات المفيدة لي ولغيري ممّنْ هم في حاجة

إلى تلك الأعمال، ورضيتُ أن أكون قعيدة بيت، وطاؤها الملل، وغطاؤها الكسل ؛ اللهم إلاّ من بعض ما يُضطرّ إليه من أعمالٍ.

وبهذه الكلمات الأخيرة أختم هذه المذكّرات، ثم أختمها بالحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله مُحَمَّد بن عبد الله، وعلى آله ومنْ والاه، واتّبع سنته، وارتضاه، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، وتابعيهم إلى يوم الدين « سبحان ربّكَ ربِّ العزّةِ عمَّا يصفُون وسلامٌ على المُرْسلين والحمدُ لله ربِّ العَالَمينَ.»

حياة التقاعد :الحياة التي قرأتُها في هذه الرسالة هي حياة الحركة والعمل، وحياة الخف، وقد انتهت بحلول يوم التقاعد من سنة 1972م ، وحلّت محلّها حياة التقاعد، وهي حياة القعود، والجمود، والرقود، وحياة الكسل والملل، والكلل وحياة الأمراض، والأغراض، والاعتراض، وحياة الاحتقار، والانتهار والاضطرار. فحياة هذه صفاتها لا تُسمّى حياة؛ بل هي الموت الزؤام على طول الدوام ؛ فهذه الحياة خالية ممّا يحسن أن يذك، أو يُسجّل في تاريخ الأحياء، ولذلك لم أجد فيه ما يسجل من حوادث تهمّ، أو فوائد تخصّ، أو تعمّ؛ ولمّا فاتني ذلك كله رأيت أن أذكر بعض حالاتي بعد التقاعد بذكر أبيات شعرية تصف الحالة التي أنا عليها الآن من ضعفٍ وعجزٍ، ولكني أقرأ قوله تعالى :

« قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ.»

حالتي عند التقاعد:

1 ـ فقلت في وصْف حالتي عند التقاعد وبعده:

كلّ ذهـني وماتت الأفـكار * * وتناهت من الـدّنا الأعمار
ولّى الطموح واستـولى يـأسٌ * * وأُصيبت بعَـشْوةٍ أبـصار
ضعُف العـقلُ لم يع ما واعاه * * قبل أمسٍ واختلّت الأنظار
عاد حلْو الحديث في الذّوق مرًّا * * وجـميل الكلام في الأذن غار
ويميني تقـاصرت عن ذراعي * * فهْي رعـديدة وفيها انبتار
بان منّي اليراع والطرس والحـ * * بْر وبانت عن عيني الأسفار
قبل أنا اليوم في الحقـيقة حيٌّ * * مثل مـيّت تحوطه الأقـدار

العجز عن العمل:

2 ـ وقلت من قصيدة أخرى هذه الأبيات في العجز عن العمل:

أُبعدت عنـــك كـتابي * * * يا خـير الأصحـاب
أُبـــعدت عنك لعـجْـزٍ * * * أصابـني واضطراب
أُبعِدت عـنك برغـــمي * * * ورغـــم كل حساب

فنقص جسمي نــحولا * * * أدّى لسوء العذاب
ونقص عقلي وفكــري * * * أدّى لـسوء ارتــياب
وكلّ ما عـــندي كــلّ * * * من كـلّ ظــفْر وناب
فـفي الـــجوارح سقم * * * أدّى لــشـــــرّ مآب
وفي الـدماغ صُـــداع * * * كأنه قــرْعُ بـــــاب
وفي اللـــسان عِــقال * * * عن الخطـإ والصواب
وفي العـــين غـــشاء * * * أعاقـني عن طِلابــي
أضــواؤها قـد تلاشت * * * وءاذنــت بالــذهاب
في الأذن مـــنّي سِـداد * * * عن سمْع كل خطاب
ودام فـــيها أزيـــــز * * * كــما أزيــز الذباب
وفي اليدين ارتـــعاش * * * أسال منّي لعــابـــــي
لا الكفّ تــحمل شيئا * * * ولو خـفـيف الثياب
ولا الـــــــذراع ذراع * * * في صــحّة واكتساب

الإستئناس بالعزلة:

3 ـ وقلتُ أبياتا من قصيدة طويلة في العزلة مستأنسًا بها:

أنا هـــنا في عـــزلة * * * وراحة وفي اختـــبا
مبتعدا عـن كــل من * * * لغْو الحديث احتقبا

في الـبعد عن أمثاله * * * خير اكـتساب كسبا
لذا ارتضيت وحـدتي * * * وعزلتي ضـمن الخبا
فـمنْ أتاني زائـرًا * * * زورة خِـلٍّ مُـجْتبى
أقل له في غـبطـة * * * يـا مرحبا يا مرحبا
ومنْ أتاني يبتـغـي * * * ثـرثرة لا أربـا
مضيِّعًا لوقـتـه * * * بل قـتـل وقتي طلبا
أقـل له مُصـرِّحًا * * * إلـيك عنـّي هربا
فلسْتُ بالشخص الذي* * * تـروم مـنه طربا
وبعـد ذا فاحمل كـما * * * تشاء فـيّ الخطـبا
فـليس ذاك ضائـري * * * ولم يـكن لي مُرعـبا
والـشرط ذاك قائـم * * * ولازم قـد وجـبا
فمنْ أتـى فـمرحبا * * * ومنْ أبى فـقـد أبى

في الشيْـب :

4 ـ وقلت في من قصيدة أخرى في الشيب:

وقد أتى الشيب يدعـو * * * إلى المقابر جسمـي
فقلت: يا شيب أقـصرْ * * * فقد علمتك شؤمي
أتيتَ تحمل عـجـزًا * * * إليّ قـاصدا عـدْمي

وجـــئتني بـــــجنود * * * هم العــدوّ بسِلم
أمراض عقلٍ وجــسمٍ * * * تواترت كل يــوم
ولازمــت لي فـــراشَا * * * فلن تفارق كُــمّي
فاخترت إذ ذاك بيتي * * * ما بين سقْــمٍ وذمَّ

في عقيدتي:

5 ـ وأختم هذه الرسالة في حياتي بهذه الأبيات التي قلتها في عقيدتي :

أمـــوت على الإسلام دين مـــحمد
عليه ســـلامٌ دام من مالـك الملـــك
أموت ومـــا في القلب مثقـــل ذرّة
من الشرك أو ما قد يؤول إلى الشرك
وأعـلمُ أني لا مـــــــحـــالة صائر
مصير أُنـــــاس للـــفناء وللفتك
وأُوقـــــن أن الله سوف يعـــيدني
وتُـــعـــــرض أعمالي عليّ بلا شكّ
وسوف أُوفـّـى يوم عـرْض صحائف
صنيعي من فـــعْلٍ فعــلتُ ومن ترْك

ورحمـــــــاه ربي إنْ تغـــمّدني بـــها
نجـوتُ وإلاّ فالــمصير إلى الــهلْــك
سألتك ربي العــفـــو عن كل زلّــة
تمانعني عن جــنّة الـخلــد والنسك

فهرس الموضوعات

ـ هذه ملخص حياتي (قصيدة) 03

ـ مقدمة 05

أصْل نشأتي 07

نشْـــــأتي 10

ـ كُتّابُ القرية 11

ـ جدّي معلمًا لي 12

ـ في كُتّاب الشيخ الطيب بن الز 15

ـ حضور دروس الشيخ اللقاني 16

ـ وصية جدّي للوالد 18

حياتي في المدرسة بقمار 20

ـ شيخ العلم والإصلاح عمار بن الأزعر 21

حياتي الدراسية في تونس 23

ـ حصولي على شهادة التطويع 26

ـ الكتب التي قرأتها 27

ـ إضراب الطلبة بجامع الزيتونة 34

ـ دروس خارج النظام المدرسي 37

شيوخي في تونس، وأول اختبار 39

العودة من الغربة إلى التربة 42

ـ زواجي الأول 43

ـ المعلم كالمدّاح 45

ـ مؤلمات في التعليم الحر 46

طريقي إلى التعليم في بجاية 48

ـ في طريقي إلى بجاية 49

ـ أول درس في القبائل 52

ـ بين يدي الحاكم العسكري 53

ـ حياتي في السجن 54

ـ هجوم الشتاء 58

ـ نتيجة هذه الرحلة 60

في مسقط الـــــــرأس 62

ـ عملي أجيرا عند صهري 62

ـ مغادرة بسكرة والتدريس بقمار 65

ـ حوادث سوف 66

ـ دخلتُ كُـــنّي 68

ـ اشتغالي بالتجارة 68

ـ " قائد " القرية يهدّدني 69

ـ سنةُ خُلوة 72

ـ تلخيص بعض الحوادث الخاصة 72

مدرسة النجاح بقمار تفتح أبوابها 78

ـ الترجمان الفرنسي يحقّق معي 78

ـ بين يدي الحاكم العسكري بالوادي 79

ـ شكوى بمدير المدرسة 80

ـ تعييني بمعهد قسنطينة 81

ـ تقرير أدبي عن مدرسة النجاح 81

ـ تجارة البرانص مع ميلود النيس 82
ـ أطروحة أحمد ناجح 85
ـ ابني جمال الدين في فرنسا 85
ـ صهري الشيخ الحفناوي ضحية حادث مرور 89
أعمال أدبية 95
شيوخي بقمار وتونس 98
ـ شيوخي في قمار 98
ـ شيوخي في جامع الزيتونة 99
ـ أسماء الكتب التي قرأتها 101
اخـــــــتيار التقاعد 105
ـ سنة التقاعد 106
ـ حياة التقاعد 107
ـ حالتي عند التقاعد 108

...وفي يوم 17 مارس 1949م، اتُّهمت من طرف الحكومة المحلّية بالوادي، وبقمار، ومن طرف الطرقيين بأني أنا الذي كتبتُ مقالا في جريدة البصائر اشتم فيه الطرقيين، والطرقية، والطرق؛ ولا سيّما الطريقة التجانية، وبُعث بي إلى الوادي، وقابلتُ الحاكم، ودفعتُ التهمة بأن صاحب المقال مصرّح باسمه، وإمضائه تحت مقاله، فكيف يُتّهم غيره، وكان المقصود من هذا الاتهام هو التهديد، والتخويف حتى لا أحاول الخروج من قفص الهدوء والسكون.

الشيخ محمد الطاهر التليلي

من إصدارات:

دار الثقافة
محمد الأمين العمودي
لولاية الوادي

9 789931 650164

سامي
للطباعة
و النشر
والتوزيع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner